# مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

جمادى الآخرة 1442هـ - يناير 2021


## الصفحة الأولى...


هلال الحجري


### فرنسيس آدمز

من الشعراء الذين نجد صدى للعرب في قصائدهم فرنسيس وليام لودرديل آدمز Francis William Lauderdale Adams (1862-1893)، وهو شاعر وروائي بريطاني، أبوه عالم في التاريخ الطبيعي، وأمه روائية. هاجر إلى أستراليا؛ حيث قضى معظم حياته متفرغا للكتابة. كان غزير الإنتاج رغم أن العمر لم يمتد به أكثر من واحد وثلاثين عاما؛ فقد صدر له ثلاث روايات ومجموعة قصصية إضافة إلى أعماله الشعرية. انطلاقا من توجهاته الاشتراكية، اهتم فرنسيس آدمز في أعماله بالطبقات المسحوقة والشعوب المظلومة؛ لذلك حين ذهب إلى الإسكندرية هاجم الاحتلال الإنجليزي لمصر، وألف كتابا في ذلك عنوانه «مصر الجديدة»، نشر بعد وفاته سنة 1893.

**من قصائده «أغاني هونج كونج»:**

١-
عند مرسى ميناء هذه الجزيرة،
البوابةَ الصينية،
استلقينا، حيث كانت المدينةُ البحريةُ
مصاطبَ تحتَ مرتفعاتٍ مكسوّةٍ بالخُضْرة.
سُفنٌ، وبواخرُ، ومراكبُ شراعية،
وأعلامٌ وشعوبٌ عديدة،
وبحّارةٌ شتّى،
سفنٌ شراعيةٌ صينية، وقواربُ،
وكلُّ حشودِ الشرقِ المبتهجة،
مما شاهدتُ وعرفت.
و حين وقفتُ، بأصواتٍ مفاجئةٍ
حُلوةٍ رنّانةٍ
على نسيمٍ مَرِح،
دقّتْ أجراسُ الكنيسةِ، معلنةً
السلامَ الداخلي.
أيتها الأجراسُ الإنجليزية،
ارتفعتْ موسيقاكِ أو انخفضت،
لن أهلّلَ لكِ،
رغمَ أنها تأتيني حُلوةً حزينةً،
تُذكّرني
بأيامِ الصِّبا العزيزة.
لذلك، أيتها الأجراسُ الإنجليزية
-آخرُ الصّلاتِ مبتورٌ ومهترئ-
وقد تركتُ الأرضَ والعقيدةَ إلى
الأبد-
فدقّي ولا تتوقفي!

٢-
هناكَ الكثيرُ في هذه المدينةِ
البحرية
لم أصادفْه من قبل،
ولكن شيئان مألوفانِ عندي
من زمنٍ بعيد.
في الخُضْرةِ الاستوائيةِ الجميلة،
في الشوارع، انظرْ
المبانيَ الإنجليزيةَ البشعة
والرجلَ الإنجليزيَّ الوحشي!

٣-
أقفُ وأشاهدُ الجنودَ
يسيرون صعودا وهبوطا،
على ملعبِ الكريكيت الأخضرِ
الجديد
خارجَ المدينة.
أقفُ، وأشاهدُ، وأتساءل
متى، في الأرضِ الإنجليزية،
سيتعلم هذا الجنديُّ البائسُ المعتوهُ
ويفهم؟
أن الزولو، والبوير يين، والعربَ،
كلهم يقاتلونه مُجْرِما بَشِعا
ليكونوا أحرارا،
رجالا ونساء وأطفالا.
في الهند وأيرلندا
إنه أوقفَ الناسَ؛
ليسرقَ أموالَهم
النبيلُ الإنجليزيُّ اللص.
ماذا أعطوه؟
لجعله خائنًا لواجبه،
وإجباره على ظُلم أخيه؟
ليس إلا ملابسَ العبدِ وروحَه!
أيها الفقيرُ الأحمقُ، تومي أتكينز،
كم ذابلٌ أنتَ، فلتفهمْ، في ذلك اليوم
حين تقفُ بعيون متلهفةٍ وأسنانٍ
مشدودة،
لتقول:
«هذه إنجلترا حبيبتنا الغالية،
وسوف أحررُها قدْرَ استطاعتي،
من كل تاجرٍ فاسد،
ونبيلٍ غشاش!».


hilalalhajri@hotmail.com

النوع الإنساني
روتجر بريجمان

المثقفون والقانون
ميخائيل صاندل

التربية والتنوير
ميشيل فابر، سيلين شوفينيه

اقتصاد التنين
كارول وايز

كريم حكيموف، سجل حياة
أليغ بوريسوفيتش أوزيروف

العدوى الأمريكية: الأوبئة والقانون
جون فابيان ويت

نوتردام الكُتاب
ميشيل كريبي
وأنطوان جينيزي

أسرار الحب الإلهي
إ. هيلوا

حياة مترابطة
مارلين شيلدريك

عصور ما قبل التاريخ
إريك ريك
وجورج شيمر

## إصدارات عالمية جديدة

صفحة 22 و 23

# النوع الإنساني.. تاريخ طافح بالأمل

## روتجر بريجمان

مُحمَّد الشيخ *

**لَئِنْ كان المفكر الفرنسي الكبير روني جيرار (١٩٢٣-٢٠١٥) -صاحب كتاب «العنف والمقدس» (١٩٧٢) - قد اهتدى في كتابه «أمور مخفية عن العالم منذ تأسيسه» (١٩٧٨) إلى أن الشأن فينا -معشر البشر- ألا نرغب في الأشياء، اللهم إلا إن رغب فيها غيرنا؛ بحيث ما ثمة من رغبة إلا الرغبة في الرغبة أو الرغبة في المحاكاة؛ فإن المفكر الهولندي الشاب -٣٣ سنة- روتجر بريجمان يذكرنا في كتابه هذا عن مروءة البشرية (٢٠٢٠)، بأن طيبة بني البشر أمر متأصل فيهم منذ أن صار الإنسان إنسانا... وإذا كنا قد تعوَّدنا على القول بأن «الواقعية» تقتضي منا الإقرار بأن بني البشر شريرون لطبع متأصل فيهم، وأن «المثالية» تكمن في القول بأنهم أخيار، فإن المؤلف يقلب هذه المعادلة قلبا جذريا: إنما تكمن الواقعية -كل الواقعية- في القول بأن بني البشر أخيار بالطبع... وذلك ضد ما يطلق عليه «النزعة الكلبية» التي تستلذ بالإمعان في ترديد أن سلوك البشر مدلِّلٌ على ما يشي بخوارم المروءة، وأن بني آدم كائنات أنانية وعدوانية، وأن من شأن «الكلبيين» أن يكونوا دوما على صواب في ما يدّعونه بشأن طبيعة بني البشر الأنانية والعدوانية.**

وهكذا، يدور هذا الكتاب حول ما سماه صاحبه «فكرة جذرية». وما هذه الفكرة الجذرية؟ هي فكرة قوامها القول: إن معظم بني البشر لطفاء أوِدّاء وذوو مروءة. وإذا ما نحن تساءلنا: هل ، نعيش، يا ترى في عالم متآزر؟ أم نعيش، بالضد، في عالم لا تآزر فيه؟ فإن معظم الناس يخطئون في الحكم حين يعتقدون أننا نعيش في العالم الثاني، بينما كل البحوث العلمية ومنذ الحرب العالمية الثانية ما تفتأ تثبت العكس. والحال أن هذه الفكرة الجذرية التي يدعو إليها المؤلف يرى أن من شأنها أن تحمل من يحكموننا على إبداء قلقهم؛ ما داموا هم يقتاتون على نقيضها. هي فكرة تنكرها الأديان والأيديولوجيات، وتتجاهلها وسائل الإعلام، وتخفيها حوليات تاريخ العالم: فكرة أن بني البشر طيبون في أصلهم، وأن هذه الطيبة تبدو في أجلى صورها عند النوائب. والغريب المريب، كما يرى المؤلف، أن هذه الفكرة، وعلى عكس ما يُعتَقد، تُسَوِّغها كل فروع العلم تسويغا، ويعززها التصور، وتشهد عليها ماجريات الحياة اليومية. ثم يستأنف المؤلف القول: وماذا لو تشجعنا على أن نحمل فكرة طيبة النوع البشري وخيريته على محمل الجد؟ وإنها لفكرة إنْ نحن عملنا بها أحدثت ثورة تقلب المجتمع رأسا على عقب؛ إذ تعد بمثابة البلسم الشافي الذي يضمن ألا يعود الإنسان يرى العالم كما كان يراه من ذي قبل: عالما مليئا بالشرور محملا بالآثام.

ومن ألطف ما في هذا الكتاب أنه كتاب في كتاب؛ بمعنى أن صاحبه، وهو يمضي في فصوله قدما، لا يكف عن التذكير بلحظات تأليفه؛ بحيث يذكر الفكرة ويحكي كيف واجهها محيطه ما أن أعلن نيته تدوينها. إذ يذكر أنه خلال السنين الماضية التي كان يُعِدُّ الكتاب فيها، فإنه لما كان يحدث أن يحدّث الناس عن فكرته، عادة ما كانوا يواجهونه بتقطيب حواجبهم تعبيرا عن ذهولهم وقلة تصديقهم، حتى أن ناشرا ألمانيا اعتذر عن نشر الكتاب معللا ذلك بأن الألمان لا يعتقدون في خيرية البشر الفطرية، وقال مثقف من علية القوم: ألَا ما أحوج الفرنسي إلى قبضة الحكومة الصارمة. وواجهه العديد من الأمريكيين، بعد انتخابات عام ٢٠١٦، هل جُننت يا رجل؟ فحتى في الدول التي رسخت فيها الديمقراطية، شأن فرنسا وألمانيا وبريطانيا، يتشاطر أغلب الناس تلك النظرة «المعوزة» عن البشر.. بينما يصفون كل من يدافع على عكسها بأنه «ساذج» و«عبيط...».

والسؤال الذي لطالما أخذ بمجامع عقل المؤلف هو: لماذا يا ترى يتم تبني مثل هذه النظرة السلبية عن البشرية؟ ولماذا إذ نميل إلى الثقة بأقربائنا وبجماعتنا، سرعان ما يتغير موقفنا عندما يتعلق الأمر بالبشر كافة؟ ولماذا تبادر الكثير من القوانين والتشريعات، والعديد من الشركات والمؤسسات، إلى ادعاء أنه لا ثقة في بشر؟ ولماذا إذ يثبت العلم أننا نعيش في عالم مروءة وتآزر نميل إلى الاعتقاد بضد هذا؟ أفهل يتعلق الأمر، يا ترى، بعادة منشئية نُشِّئنا عليها؟ قد يكون ذلك. وفي هذا الكتاب يورد المؤلف عشرات الآراء التي توحي بذلك. أم هل هي قناعة عقدية؟ قد لا يصدق ذلك، فقط بعض الأديان تعتقد أن من صحيح الاعتقاد القول بأن البشر منذورون إلى الخطيئة. أهي قناعة اقتصادية إذن؟ عديد من الرأسماليين يزعمون أننا تحركنا جميعا المصلحة الشخصية. أم هي قناعة علمية؟ كثير من علماء البشرية يرى في البشر قوة مدمرة تسعى على وجه الأرض بالفساد. والحال أن هذا التساؤل يدفع المؤلف إلى الاستفسار: لماذا نتخيل البشر بهذا السوء؟ ما الذي يجعلنا نعتقد في خور طبيعة نوعنا البشري؟

ثمة «أسطورة» تأسيسية مستدامة تنص على أن البشر بطبيعتهم أنانيون وعدوانيون، وأنهم سرعان ما يصابون بالذعر في زمن الحاجة والجائحة. وهي الأسطورة التي يسميها عالم سلوك الحيوانات الهولندي فرانس فال: «نظرية الصفيحة». هي نظرية تتخذ دريئة وذريعة تقول بأن الحضارة مجرد «صفيحة» و«واجهة» و«واقية» رقيقة يسرع إليها الصدع ويعروها الكسر عند أدنى رجة أو هزة. والحال أن الأمر، عند المؤلف، على الضد: إذ لما تضرب الأزمة ضربتها يغدو البشر أكثر غيرية وإيثارا وتآزرا، ويمسي شعارهم: «الإنسان هو آخر بالشخص إلا أنه أنت بالنفس».

والحال أنه ما أخطأ أفناء الناس وحسب في سوء تقدير خيرية الإنسان، بل وُجد ذلك عند بعض الفلاسفة. يقول المؤرخ البريطاني الشهير تيموثي كارتون آش: «من الناس من يعتقد أننا إنْ نحن نزعنا لوازم الحياة المنظمة والمدنية. من غذاء وإيواء وماء شريب وحد أدنى من الأمان . فإننا سرعان ما سوف نعود القهقرى إلى حال الطبيعة على النحو الذي وصفه هوبز: حرب الجميع ضد الجميع «...» إذ من شأن القلة النادرة أن تمسي مؤقتا ملائكة، بينما من أمر الكثرة الكاثرة أن تمسخ قردة». ها نحن أولاء نظرية الصفيحة الصفيقة من جديد. وما حدث في تصور كارثة نيو أوليانز، مثلا، إنما أحدث ثقبا صغيرا في «القشرة الصفيقة التي نضعها على بوتقة حمأة الطبيعة، بما في ذلك الطبيعة البشرية». ومن شأن الديكتاتوريين والمستبدين والحكام والجنرالات أن يخرجوا من مخيلتهم دوما القوة الغاشمة بغاية تفادي سيناريوهات لا توجد اللهم إلا في أذهانهم، قائسين بذلك على أنفسهم قائلين: من شأن المواطن البسيط العامي إلا تحكمه اللهم إلا

مصلحته. ينبشُ المؤلف في نسابة هذه النظرة إلى بني البشر بوسمهم كائنات أنانية بالطبع، ويجد أن ثمَّة تقليدا عريضا طويلا في الغرب مكونا من سلسلة طويلة من المفكرين -من توقيديدس إلى فرويد مرورا بأوغسطينوس ومكيافلي وهوبز ولوثر وكالفين وبيورك وبنتام ونيتشه وآباء أمريكا المؤسسين- كل واحد منهم أقام نظرية الصفيحة الحضارية، وذهب إلى أننا إنما نحيا في عالم بلا مروءة. وقد عُدَّ هؤلاء «واقعيون»، وكم تم الاستهزاء من الذين آمنوا بمروءة بني البشر. خذ على سبيل المثال كتاب هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩) اللوفياتان (١٦٥٩)، تجد ثمة الفيلسوف المتشائم الذي حملنا على الإيمان بضعف الطبيعة البشرية، والذي أكد على أن المجتمع المدني وحده كفيل بأن ينقذنا من غرائزنا الجوهرية. وخذ روسو الذي أعلن أننا في قلب قلوبنا أناس طيبون، وبدلا من أن تكون الحضارة منقذتنا، فإنها هي من يفسدنا. الحال أنه حتى لو لم يكن المرء قد سمع بهذين الفيلسوفين من ذي قبل، فإنهما لا زالا يحكمان كل خلافاتنا حول تصور المجتمع وأمر صلاحه.

ولئن نحن أردنا -وفي هذا مجمل دعوى الكتاب- أن نواجه التحديات الكبرى في أزمنتنا هذه -من التغير المناخي إلى تنامي انعدام الثقة ببعضنا البعض- فإن ما ينبغي أن ننطلق منه هو نظرتنا إلى الطبيعة البشرية. وذلك بأن ننتقل من نظرة متشائمة لا ترى في طبيعة الإنسان سوى الأنانية والعنف والشر، إلى نظرة متفائلة ترى في الطبيعة البشرية الخير والتآزر والتسالم. هذا مع تقدم العلم أن المؤلف يؤكد على أنه ما كان هذا الكتاب عظة عن خيرية البشر؛ إذ يقر بداهة بأننا ما كلنا بالملائكة، وإنما نحن مخلوقات شديدة التعقيد، ذات وجه طيب ووجه لا. والمسألة مسألة إلى أي وجه ننقلب.

وتتلخَّص حجة المؤلف فيما يلي: نحن بالطبيعة -ونحن أطفال، ونحن نحيا على جزيرة مهجورة، ونحن نواجه حربا نشبت، ونحن نواجه الأزمات والجائحات- جُبلنا على تفضيل الإبانة عن الوجه الطيب منا والالتفات إلى خيريتنا. وبغية الكتاب عرض الحجج العلمية التي تبدي، في شق أول، كيف أن هذه النظرة، وليس النظرة التشاؤمية التي لطالما تم تقديمها صحيفة ودريئة، هي النظرة الواقعية، وهي النظرة الأكثر إيجابية حول طبيعة البشر. وفي شق ثاني يظهر المؤلف قناعته بأن هذه النظرة سوف تغدو هي النظرة الواقعية إذا ما نحن آمنا بها وتبنيناها. ويشدد على أن العلم الذي لطالما أكد على فساد النوع البشري وأنانيته وخطورته لعقود، عاد إلى الإقرار بالضد، وأن علم الاقتصاد الذي لطالما صوّر «الإنسان الاقتصادي» على أنه ذاك الذي يسعى على وجه الدوام إلى الربح الشخصي، كما لو كان البشر مجرد «إنسان آلي» أناني

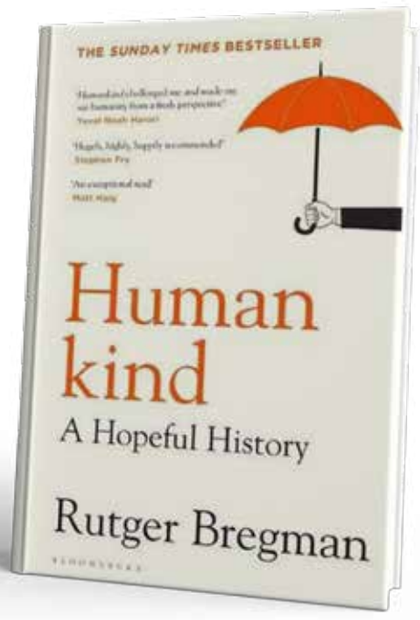


حيسوبي، وبنى على هذا التصور عشرات النظريات؛ ها هو اليوم سائر إلى مراجعة مفترضاته.

هذا.. وقد عجَّ الكتاب بالمحكيات والمرويات، وضج بالبرهنات والحجج؛ تلك التي ساقها المؤلف للتدليل على صحة دعواه. وأغلبها مشتق من الماجريات والجائبات (الحروب، الأعاصير، الجائحات) التي تروي عن المصائب والنوائب وعن تضام البشر وتطامنهم وتضامنهم في هذه الأحوال والأهوال. ومجمل ما تنتهي إليه من عبرة يتمثل في ما يلي: من أمر النوائب ألا تبدي أسوأ ما في الإنسان، ومن شأنها أن تجلي عن أفضل ما فيه.

افتُتح الكتاب بالتذكير بمشهد قصف قوات هتلر للندن بدءا من يوم ٧ شتنبر من عام ١٩٤٠، وقد استبد الذعر بالسياسيين والعسكريين قلقا على مصير المدنيين والمدنية، وبإشارة إلى كتاب عالم الأنتربولوجيا وعالم النفس الاجتماعي الفرنسي جوستاف لوبون (١٨٤١-١٩٣١) -الذي نعرفه جيدا في العالم العربي بفضل نقل أهم كتبه إلى اللسان العربي- الموسوم «سيكولوجية الجماهير» (١٨٩٥) -أو بالأولى «نفسانية الحشود»- والذي طالعه كل من هتلر وموسوليني وتشرشل وروزفلت. وفيه يعرض المؤلف كيف تكون ردة فعل الناس زمن الأزمة؛ بحيث يشير إلى أن من شأن بني البشر أن يرتدوا وقتها إلى أسفل دركات سلم الحضارة؛ إذ ينبثق الذعر وينفجر العنف آنها، بما يُفتَرض أن يعبر عن خبيئة طبيعة البشر وحقيقتهم التي يخفيها التمدن. ويتساءل المؤلف عن رد فعل سكان لندن: أترى كان تقهقريا بحسب ما توقعه نفساني الحشود؟ والجواب: لا؛ بحسب شهادات أهل ذلك الزمان نفسه، ولربما اندهاشهم؛ إذ نزلت السكينة بالساكنة. أكثر من هذا، لربما ما كان شأن الأزمات أن تخرج من الإنسان ما هو أسوأ ما فيه، وإنما الشأن فيها، بالضد، أن تبدي أفضل ما فيه. وقد ترقى الإنسان آنها في درجات سلم التحضر إذ أبدى أفناء الناس عن الشجاعة والدعابة واللطافة. أكثر من هذا، أثبت البحث أنه لم يحدث للبريطانيين أن تدنى حسهم الخلقي، وطالبوا بالمعاملة بالمثل وحتى بالأسوأ، على خلاف سياسييهم. وأبدى الألمان السكينة نفسها، بل حتى ضربا من الحبور الذي لا يشاهد نظيره إلا عند ربح الحرب. وبالجملة، ما تبدت أية هستيريا جماعية، قائمة على الأنانية والعدوانية، بل بالضد تآزر الناس فيما بينهم البين. والدرس الذي يستخلصه المؤلف هنا أن السياسيين وقعوا في الفخ، ومهروا على ادعاء لوبون أن حال حضارتنا ما كان أكثر من قشرة ظاهرة. وكلا؛ ما كان هذا الأمر خصيصة بريطانية حصرية، وإنما هو شأن بشري مشترك وكوني؛ وإنما «الطيبة» لازمة من لوازم طبيعة البشر... إلا أن الخطاب السائد يخفيها الإخفاء .

واختتم المؤلف الكتاب بالقول: لَئِنْ كان ثمة من شيء مهم سعيت إلى القيام به في هذا المؤلَّف، فإنما هو تغيير معنى «الواقعية». ألم تكن تترادف في البداية مع «الكلبية» -أي مواجهة الناس بما يكرهون سماعه، والتمتع بملاحظة امتعاضهم من ذلك: أيها البشر حقيقتكم أنكم أشرار بالطبع؟ إنما الكلبي هو من يزعم أنه يعيش في عالم بلا مروءة، بلا لطافة، بلا مؤازرة. وها قد تبدى أننا نعيش في عالم مخالف لذاك الذي نزعم أننا نعيش فيه حقا؛ حيث يميل البشر بأشد ميل إلى أن يكونوا طيبين اتجاه بعضهم البعض. أن تكون واقعيا هو أن تكون أريحيا. أن تكون صادقا مع طبيعتك البشرية، وأن تمنح ثقتك إلى أغيارك. ففعل الخير يحدث على نطاق واسع كل يوم. فلا تخجل من أريحيتك. سوف يقولون عنك في البدء: يا له من ساذج وعبيط، لكن تذكَّر أن ما يعد سذاجةً اليوم سوف يصير أمرا مشتركا في الغد: ألَا إنه آن الأوان لواقعية جديدة، وحان موعد نظرة جديدة إلى النوع البشري. وبعد وقبل، هل من مستمع إلى صرخة الفيلسوفة الروسية إيما كولدمان (١٨٦٩-١٩٤٠): «أيتها الطبيعة البشرية المسكينة، كم من الجرائم الفظيعة ارتكبت باسمك !«...» إذ بقدر ما يشتد دهاء امرئ شعوذي، يشدد على ضعف الطبيعة البشرية».

---

**· الكتاب: «النوع الإنساني.. تاريخ طافح بالأمل».**

**· المؤلف : روتجر بريجمان.**

**· الناشر : بلومسبوري، 2020م.**

*** أكاديمي مغربي**

# المثقفون والقانون في العالم العربي المعاصر
## أورسيتا جيولو

عزالدين عناية *

**تقوم المقارَبة المعتمَدة في تأليف هذا الكتاب على فلسفة القانون وعلى سوسيولوجيا القانون في الآن نفسه؛ حيث تحاول المؤلّفة الإيطالية أورسيتّا جيولو أن تنسج علاقة بين إنتاجات المثقّفين العرب والأبعاد القانونية. وذلك بقصد تتبّع التطوّرات الجارية في المجالات الحقوقية والفكرية والسياسية، وفي مسعى لرَصد مظاهر الالتزام ضمن السياق العربي في التمازج الحاصل بين الثقافة والسياسة والدين. وزّعت الكاتبة مؤلَّفَها، ضمن ذلك الاهتمام، على خمسة أقسام، أرادت من خلالها الإحاطة بسائر قضايا الفكر العربي المعاصر في صلته بمجاليْ القانون والتشريع.**

**وفي القسم الأول، نجد سعيًا لحصر أصناف المثقّفين، مع بيان إسهاماتهم في النقاش الدائر داخل العالم العربي في مجالات الدين والسياسة والاقتصاد والتنمية والتحول الديمقراطي وقضايا الحريات. وفي القسم الثاني، تحاول الكاتبة جَرْد المواضيع المطروحة للنقاش، مع بيان ارتباطها بقضايا قديمة وطروحات جديدة، أي بما يعكس جدل التراث والحداثة، جراء التأثر بالسياق الفكري العالمي وما له من أَثر على أوضاع العالم العربي.**

وفي القسم الثالث تحاول الكاتبة تحديد الفضاءات التي يجري فيها النقاش: الرمزية منها والواقعية، كما تتعرّض للسياقات التي يَرِد ضمنها عرض القضايا. ثمّ في القسم الرابع تثير أورسيتّا جيولو مسألة اللغة/ اللغات التي يُعبّر بواسطتها العرب عن قضاياهم في التاريخ المعاصر. تتناول هذا الموضوع سواء بالحديث عن التنوع اللغوي في المجتمعات العربية، أو بالتعرض إلى دور اللغات الأجنبية ضمن السياق الفكري والسياسي العربي، مع الحديث عن تأثير مسألة اللغة على التكوين وعلى الإنتاج المعرفي وعلى المسلك السياسي. ثم في القسم الخامس والأخير، تُحوّل الكاتبة متابعتها صوب أوساط ثقافية تقع خارج العالم العربي، عبر تتبّع ملامح النقاش الثقافي السياسي الدائر في أوساط المثقفين العرب المهاجرين سواء في أمريكا أو أوروبا.

وتستهلّ أورسيتّا جيولو كتابها بالتطرق إلى مولد المثقّف العربي الحديث، المتأخّر مقارنة مع نظيره الغرب، مما خلق تعكرات اجتماعية، وذلك اعتمادا على حكم أطلقه المفكر واللاهوتي الألماني السويسري هانس كونغ في أحد مقالاته المنشورة. كما تسعى الكاتبة إلى رسم صورة لخاصيات المثقف العربي الحديث، حتى وإن وُجدت صورة متوارثة للمثقف الكلاسيكي متمثلة في الفقيه، أو الحكيم، أو العالم، أو الأديب.

واستنادا إلى هذه الفكرة التي تمحورَ حولها كتاب «المثقّفون والقانون»، عملت الكاتبة على تتبّع الكتابات العربية الفكرية مبرزة ما لها من تداعيات قانونية. معتبرة أنّ صعوبة الأوضاع المحيطة بالمثقف العربي لم تَحُل دون الاحتفاء بدوره والإيمان بإسهامه في صنع التغيير. فما من شكّ أنّ انغماس المثقّف في أعمال التغيير في البلدان العربية، سواء كان على مستوى سياسي أو ثقافي أو اجتماعي، بوصفه مترجما أصيلا للواقع، يستبطن آثارا قانونية على صلة بحقوق الناس ونظام سير مؤسسات المجتمع وحضور الدولة. كما تتّبعُ الكاتبة انخراط المثقفين العرب في الجدل القانوني الجاري في الساحة العالمية (تحديدا في الأوساط الغربية) بشأن جملة من القضايا على صلة بحقوق الإنسان، ومسألة الحريات الشخصية كما الشأن في ما يتعلّق بالردة، أو بمراجعة قوانين الإرث، أو أدوار المرأة وسط مجتمعات ذكورية، أو بما له صلة بحرية الفن في مجتمعات محافظة. حيث تحاول الكاتبة تتبّع تداعيات تلك القضايا في أوساط المثقفين العرب.

وأثناء معالجة هذه المسائل، يُهيمن على الكتاب سؤال: ما طبيعة علاقة المثقف بالسلطة؟ تسعى الكاتبة جاهدة، عبر مختلف الأقسام، إلى حصر الساحات الفعلية والفضاءات الرمزية لأنشطة المثقفين، ثم تحديد طبيعة تلك العلاقة بالاعتماد على صيغ متنوّعة منها الموالاة والرفض والانسحاب والمشاركة. كما تتناول الكاتبة ازدواجية عدد من الكتّاب، الحداثيين والتقليديين على حد سواء، موالين لأنظمة سلطوية، وهو ما جعل حضورهم ضعيفا في الساحة الثقافية لتراجع الثقة في طروحاتهم.

وتبدو محاور انشغال المثقّف العربي متعدّدة، وتتوزّع بين ما هو محلّي وما هو عالمي. ولطبيعة التحولات التي شهدتها البلاد العربية في العقد الأخير، أَوْلت الكاتبة الشأنَ الحقوقيَّ ومسألة الحريات أهمية بارزة، مستعيدة الجدل حول ما حدث في فترة «الربيع العربي». فبرغم النتائج الكارثية الحاصلة تشير الكاتبة إلى تبدّل الرؤية الثابتة في الغرب عن أوضاع البلاد العربية، كون العرب ليس قدرهم العيش في ظلّ نُظُم سلطوية وتراجع للحريات وانتفاء للحقوق، بل بإمكانهم السير باتجاه إرساء نظم ديمقراطية تترسّخ فيها حقوق الإنسان السياسية والمدنية. وضمن هذا السياق تحاول الكاتبة متابعة مواقف النّخب الثقافية العربية من مختلف القضايا التي حصلت بعيد العام ٢٠١١. فهناك مواقف متباينة من «الربيع العربي» تحاول الكاتبة التعرّض لها بالتوضيح والشرح والتحليل.

ليس موضوع دراسة المثقفين العرب، ووضعهم على محك التحليل والتتبّع والدور جديدا، فقد تعرّضت جملة من الكتابات إلى النّخب العربية، بل الجديد في هذا الكتاب وهو الزاوية القانونية التي أرادت الكاتبة تناول الموضوع من خلالها. فضمن الخطة العامّة لبحثها حرصت الكاتبة، ضمن سياق أوّلي، على عرض القضايا الكبرى التي تناولها المثقّفون العرب عبر ترحّلهم من التقليد إلى الحداثة، وتتبّع انغماس هؤلاء المثقّفين، المشارقة والمغاربة والمهاجرين، في مقولات مثل «صراع الحضارات» وتداعيات الإسلام السياسي، وظهور الحركات الدينية العَدميّة مثل «القاعدة» و«داعش» و«السلفيّين» والرد عليها. وضمن سياق آخر حرصت الكاتبة على متابَعة المنزع القانوني في خطاب المفكر العربي، من خلال الحديث عن مفهوم الدولة والأمة ودار الحرب، وتعريف مفهوم الإرهاب ومعالجة القضايا الأخلاقية الجديدة مثل التدخلات في عالم الأجنّة وما له صلة بأخلاقيات علم الأحياء (البيوإيتيك) عموما.

لا تغفل الكاتبة كذلك شتات المثقفين العرب في الغرب، والبحث عن الهواجس الرئيسة بينهم، والتساؤل: هل بقيت رهينة التصورات المهيمنة في الداخل العربي أم ساهَمَت إسهاما فعليا وتجديديا في طرح قضايا أمّة وفي حضورها في العالم؟ كما تتعرّض الكاتبة من جانب آخر إلى المثقّف العربي المنشقّ والمعارض، المتواجد في الداخل أم في الخارج، وما يمثّله فعله من زاوية قانونية، مستعرضة العديد من الحالات المقيمة بالداخل واللاجئة إلى الغرب.

وممّا يُلاحَظ في محاولة الكاتبة للإحاطة بتوجهات النخب الفكرية وحصر مختلف أنشطتها، أنها تأتي في غالب

الأحيان متسرّعة ومتداخلة ولا تفي بالغرض. ولعلّ من نقائص تناول أثر النُّخب الفكرية ضمن السياق الثقافي العربي، عدم التنبّه إلى أنّ أثر تلك النخب متفاوت من بلد إلى آخر ومن وسط إلى غيره. وبالتالي نلحظ تضخيم دور المثقف، المضلّل أحيانا.

وضمن التعرض لثنائية النخبة الفكرية من جانب والأبعاد القانونية من جانب آخر، التي اختارتها الكاتبة محورا لكتابها يحضر عنصر الدين قويّا في طروحات التغيير في البلاد العربية. في هذا السياق تحاول الكاتبة معالجة السُّبل المطروحة أمام المثقّفين في التعاطي مع الشأن الديني على أمل إحداث تغيير حقيقي، مبرزة الخيارات المطروحة في ذلك: آفاق تأويل النص الديني ومخاطر تجاوزه، حظوظ تقبّل الطروحات العلمانية في الأوساط المحافظة، محاولات خلق تعايش مع الحداثة بروح تنويرية، سُبل الخروج من التصادم بين التراث والمعاصرة، كيفيات الخروج من الثنائية الإسلاموية والعلمانية إلى طرح مدني مقبول بين الجميع.

نُشير إلى أنّ الكاتبة أورسيتّا جيولو أستاذة جامعية تدرّس فلسفة القانون في قسم الدراسات القانونية في جامعة فيرّارا في إيطاليا. ويأتي اهتمامها بالثقافة العربية من باب التفرّع في أبحاثها، وليس من باب التخصّص. وكتابها «المثقفون والقانون في العالم العربي المعاصر» هو الكتاب الثاني في سياق اهتمامها بالمجتمعات الإسلامية، حيث سبق لها أن أصدرت عملا آخر بعنوان: «القضاة والقضاء والقانون ضمن التقليد العربي الإسلامي» (٢٠٠٥). لكن تبقى المقارَبة التي عالجت من خلالها المسألة القانونية العربية في الكتابين المذكورين مقارَبة عامة، وهي أقرب إلى المقارَبة الثقافية. كما سبق لها أن أصدرت عملا في مجال القانون العام بعنوان «القانون النيوليبرالي» (٢٠٢٠)، فضلا عن إصدار كتاب مشترك مع أليساندرا فاكي «الاختيار الحر والوضع الحر.. وجهة نظر نسائية» (٢٠٢٠). يمكن القول إن الكاتبة أورسيتّا جيولو، التي تخطّت العقد الرابع، هي بصدد تلمّس الطريق نحو تأسيس مشروعها المنشغل بالقضايا الفكرية والقانونية، وما الثقافة العربية سوى مكوّن من مكوّنات ذلك المشروع.

وبشأن المرجعية التي استقت منها الكاتبة مادة مؤلفها تكاد تكون المراجع العربية فيها منعدمة. فهي حتى وإن دَرَست العربية أثناء تحصيلها الجامعي، فإنّ مستوى توظيفها يبقى متواضعا ولا يؤهّلها للاطلاع بشكل يسير على المؤلفات العربية. مستعيضة عن ذلك النقص بالعودة إلى كتّاب عرب كثيرين يكتبون وينشرون بالإنجليزية والفرنسية، الأمر الذي جعل خريطتها للمثقفين العرب يطغى عليها الكتّاب العرب الفرنكفونيون والأنجلوفونيون. حيث يهيمن الكتّاب العرب الذين يكتبون بلغات أجنبية

أو المترجَمة أعمالهم إلى اللغات الأجنبية على مرجعية الكاتبة وعلى حضورهم في نصّها، وأما ما دون هؤلاء فغائبون. لذا؛ يتحوّل كثيرٌ ممّن يكتبون بالفرنسية أو الإنجليزية إلى ممثّلين أساسيين للحراك الثقافي الدائر في البلاد العربية، وهي مغالَطة تسرّبت إلى الكاتبة بفعل نقص إلمامها بما يُنتَج باللسان العربي.

ومن جانب آخر، لا تُبدي الكاتبة في مؤلّفها، أو في أعمالها الأخرى، ميولات صريحة نحو المركزية الغربية أو اعتدادا عند استحضار النموذج الغربي. فما يلوح من خلال مؤلفها المتابَعة الهادئة لقضايا بحثها دون استعلاء، إذ يبقى الموضوع دراسةً محايدة للقضايا العربية السياسية والاجتماعية وتداعياتها القانونية، وإن لم نلمس نظرة تأصيلية لدى الكاتبة في تناول القضايا المعالَجة. حيث طغى على البحث الطابع القانوني، مع توظيف أدوات السوسيولوجيا في فهم الوقائع وتناول الشخصيات وشرح الأحداث. فعلى سبيل المثال في حديث الكاتبة عن النسوية العربية، اعتمدت على بعض المؤلفات الصادرة في جامعات غربية بشأن قضايا النسوية العربية المطروحة من خلال الأدب أو مسائل الدين والسياسة، ودون أن تعود في ذلك إلى شخصيات نسوية عربية مطالبة بحقوق أو مندّدة بأوضاع. الأمر ذاته ينطبق على مسعى أورسيتّا جيولو عند استخلاص هوية للمثقف العربي الراهن، حيث تحاول الاعتماد على كتّاب غربيين (جيل كيبيل، وأوليفييه روا، ويان ريتشارد) ودون الذهاب مباشرة إلى تحليل المعطيات واستخلاص الأحكام.

ومن هذا الباب، لا أعتبر مؤلّفة الكتاب موفّقة في منهجها الرامي إلى الإلمام بالعنصر الثقافي والبعد القانوني. فالكتاب لم يركّز على قضايا قانونية كما هو منتظَر من عنوان بهذا الشكل: «المثقفون والقانون في العالم العربي المعاصر» لينشغل بالمقاربة الثقافية. فالكتاب هو أقرب إلى العرض التلخيصي لمسائل شغلت المفكرين والسياسيين العرب، وتناولها المتابعون الغربيون لأوضاع المجتمعات العربية المعاصرة. أمّا من جانب الأدوات المساعدة فقد ضمّ الكتاب فهرسا وحيدا للأعلام ومسردا للمراجع والمصادر لا غير. وإن كانت الحاجة واضحة إلى فهرس للمصطلحات يشرح ما يمكن أن يثير من إشكالات لدى القارئ الغربي، وكذلك الحاجة إلى كرونولوجيا تاريخية للأحداث، تساير التطورات الثقافية والقانونية التي أزمعت الكاتبة رصدها.

لم أَلمس معالجة معمَّقة للقضايا المطروحة لدى المثقفين العرب على اختلاف مشاربهم ضمن إطار قانوني، سواء باعتماد مقارَبة فلسفة القانون أو سوسيولوجيا القانون، وهما من مجالات تخصّص الكاتبة. وقد كان أحرى أن يُصاغ الكتاب على أساس إعادة قراءة مواقف القانونيين وفقهاء القانون العرب من عديد القضايا التي تهمّ الدولة والمجتمع.

لا أعتبر الكتاب وفّى الموضوع المزمَع دراسته حقّه بحثًا وتحليلًا وإحاطةً. فقد كنتُ أنتظر مراجَعة للطروحات القانونية في الفكر السياسي العربي، تُبيّن الكاتبة من خلالها مدى الانسجام والتنافر الحاصلَيْن مع الأوضاع القانونية العالمية والمواثيق الدولية، فضلا عن إجراء مقارنات مع تشريعات قانونية أخرى، وليس مجرّد استعراض خاطف للقضايا السياسية والفكرية التي تشغل العالم العربي. فما تبيّنَ لي بشكل واضح أنّ الكاتبة لا تزال بصدد بلورة رؤية قانونية في استيعاب القضايا الفكرية التي تشغل الواقع العربي، وكأنّ هذه الرؤية لديها لم تنضج بعد؛ ومن جانب آخر أنّ مؤلفة الكتاب لا يمكن اعتبارها مرجعًا في مجال تخصّصها، أو أن إنتاجها يُعَدّ عملا متفرّدا يستحقّ التنويه. لقد أرادت الكاتبة أن تتحدّث عن كلّ شيء على صلة بالمثقّفين العرب في مئة وأربعين صفحة (حجم المتن دون احتساب الفهارس) وهو اختزال مجحف.

---

**· الكتاب: المثقّفون والقانون في العالم العربي المعاصر.**

**· تأليف: أورسيتّا جيولو.**

**· الناشر: منشورات كاروتشي (روما)، باللغة الإيطالية، 2020م.**

**· عدد الصفحات: 185 صفحة.**

*** أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا**

# التربية والتنوير.. القضايا الفلسفية والتعليمية المعاصرة

## ميشيل فابر، سيلين شوفينيه

سعيد بوكرامي *

**كيف يُمكن أن نستفيد اليوم من فلسفة التنوير؟ وما هي المعالم الفكرية التي يمكن أن نجدها في هذا التقليد الفكري النقدي، والتي يمكن أن تثري فكرنا ومناهجنا التعليمية؟ وما هي الأفكار الملتبسة والأيديولوجية الناتجة عن هذا التقليد الفكري والتي يجب أن نكون حذرين منها؟ هل يمكننا الاستفادة من «المشروع المعياري» للتنوير على الرغم من غموضه؟**

**وبدون تجاهل تنوع التنوير وتعدد أفكاره، يُمكن إجمال هذه الإشكاليات في السؤال الشائع: ما هو التنوير؟ وكيف يمكن للمناهج التربوية على المستوى التنظيري والتطبيقي أن تتعامل اليوم مع فلسفة التنوير؟ وما هي المعالم الفكرية التي يمكن أن نجدها في هذا التقليد النقدي والتي يمكن أن تثري فكرنا وعملنا على القضايا التربوية؟**

يُمكن القول -وانطلاقا من الأسئلة السابقة- أنَّنا أمام رهان وتحدٍّ من أجل العمل على موضوع حساس اليوم وهو -موضوع المعرفة والقيم في التعليم- إنَّ الفلاسفة والمعلمين وعلماء الاجتماع والتربية مطالبون اليوم أكثر من أي وقت سابق بإحياء التراث الفكري لعصر الأنوار لجعله مرجعا مشتركا. ولمَ لا البدء بفكر إيمانويل كانط، وكتابه: ما التنوير؟ وإذن ما هو التنوير؟ تتحدد حركة «التنوير»، في التيار الفكري أو الفلسفي أو الأدبي للقرن الثامن عشر الذي يدعو إلى استخدام «العقل المستنير»، المبني على المعرفة العقلانية وفكرة الحرية التي تسعى إلى تقدم الفنون والعلوم وكذلك البحث عن تعليم عقلاني ومتطور. تتأطر فترته الزمنية مابين وفاة لويس الرابع عشر (١٧١٥) وبداية الثورة الفرنسية (١٧٨٩) وقد أنتجت حركة التنوير ثورة حقيقية في الفكر وزعزعت الحقائق القديمة. كان تأثيرها حاسمًا في إعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية وفي الثورة الفرنسية. في فرنسا، ازدهرت فلسفة «التنوير» بشكل خاص مع فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨)، ودينيس ديدرو (١٧١٣-١٧٨٤)، ودالمبرت (١٧١٧-١٧٨٣)، وجان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨)، وهيلفيتيوس (١٧١٥-١٧٧١) وكوندورسيه (١٧٤٣-١٧٩٤) وفي ألمانيا مع إيمانويل كانط (١٧٢٤-١٨٠٤).

إنَّ طموح هذا العمل، الناتج عن ندوة «الأسئلة والقيم الاجتماعية الحية في التعليم» التي نظَّمها مركز الأبحاث في التعليم في نانت، هو الجمع بين وجهات النظر الفلسفية والاجتماعية والتربوية والتعليمية حول مسألة تراث التنوير. إنَّ الأمر يتعلق بانفتاح التعليم على أسئلة المعنى والقيم وتجهيز المنهج الفلسفي بحيث يمكن أن يصل إلى بعد عملي على المستوى التربوي والتعليمي وعلى نطاق أوسع، لكي يشمل أيضا البعد التربوي والمشاريع التعليمية.

يُقدم الكتاب على أنه رهان من أجل إقناع الفلاسفة وخبراء التعليم وعلماء الاجتماع بالعمل معًا على الموضوع نفسه -موضوع المعرفة والقيم في التعليم مستخدما ذريعة ومرجعا مشتركا مقال إيمانويل كانط الذي كتبه عام ١٧٨٤ (ما التنوير؟) يُعرِّف فيلسوف كونيجسبيرغ التنوير بأنه «حركة، وتفسير أو تحرر من الوصاية»، «التنوير هو خروج الإنسان من حالة الوصاية التي يكون هو نفسه مسؤولاً عنها. حالة الوصاية هي عدم القدرة على استخدام فهمه دون تحكم من شخص آخر. امتلك الشجاعة كي تستخدام فهمك الخاص! هذا هو شعار التنوير» (ص ٨). يعكس القول المأثور «تجرأ على التفكير بنفسك» مبدأ التحرر المشار إليه. أنجز الكتاب كوكبة من ألمع الباحثين: خمسة عشر مؤلفًا واثني عشر نصًا مجمعة في قسمين: القسم الأول: «سؤال التنوير» ثم القسم الثاني: «التنوير والفكر التربوي والتعليمي». أشرف على الكتاب كل من الباحث ميشيل فابر، المتخصص الكبير في نظرية إبيستيمولوجيا المعرفة المدرسية، وسيلين شوفيني، الباحثة في مركز نانت للبحوث التربوية، وقد رافق نهاية كل قسم استنتاج وتركيب يجمع بين المساهمات المختلفة. كما كتب جيرار سينسيفي، الأستاذ الخبير في التربية، استنتاجًا عامًا «لما يمكن أن يكون عليه التنوير الجديد، بناءً على روح البحث، ومبدأ المساواة في الذكاء والتعاون داخل المؤسسات الديمقراطية» (ص ٢٤).

كان المنطلق إذن مقال كانط الأصلي المعنون بما هو التنوير؟ تلك الكلمة الألمانية التي تعني التوضيح والتثقيف والتعليم، لكن طريقة تصور التنوير تختلف حسب الفضاءات الوطنية؛ لذلك فإنَّ التنوير يختلف بحسب الهويات الثقافية. يفترض التفكير في الذات بالنسبة لكانط حكمًا مستنيرًا قائمًا على أفعال التحرر من الأحكام السابقة والأفكار اللاعقلانية، وكذلك اعتماد وجهة نظر كونية تتوافق مع الذات. ونحن في القرن الحادي والعشرين وفي المدارس الحالية، كيف يمكننا التفكير في الممارسات التربوية والتعليمية وتحديد مواقعها، مع مراعاة روح التنوير الكانطية؟ بحسب ميشيل فابر وسيلين شوفينيه، يجمع هذا السؤال ثلاثة اتجاهات أثارها كانط: العقلانية والتقدم والحرية. يرتبط مثال العقلانية بالعلاقة بين العقل والتفكير اللاعقلاني. هذه الأفكار التعليمية هي وليدة التنوير الذي يسعى إلى إعلاء مكانة العقل ومع ذلك، كيف تميز المثل الأعلى للتقدم، الذي روج له التنوير، وهو الآن محل خلاف حجاجي: «تنفتح المدرسة على الخلافات من خلال إدخال مواد تعليمية متعددة في مناهجها الدراسية في مجالات (الصحة، والتنمية المستدامة، وغيرها) لتوضيح التفكير في المعرفة والقيم، وبعبارة أخرى من خلال الجمع بين التعليم العلمي والتعليم على التفكير السياسي» (ص ١٤). يرتبط تعليم التفكير النقدي بالمثل الأعلى للحرية الذي يتم التأكيد عليه باستمرار. «إذ يتعلق الأمر بتكوين مواطن قادر على ممارسة الحكم السياسي، وتحرير نفسه من التحيز والأحكام المسبقة والتصرف بحكمة مع احترام المؤسسات» (ص ١٤). كيف يمكن ترجمة هذا التوجه بشكل ملموس في البيئة المدرسية؟

يفحص القسم الأول من الكتاب: سؤال التنوير، والآراء المتناقضة لبعض الفلاسفة الكبار. يلاحظ جويل جوبير أنه بالنسبة لإرنست كاسيرير (١٨٧٤-١٩٤٥)، فإن عقلانية التنوير تشير إلى أن المدرسة تعارض الفكر المنغلق الذي

انبثق من جديد بسبب انتشار الأصولية الدينية الجديدة ونظريات المؤامرة والمعلومات المضللة والابتعاد عن الحقيقة. أما آلان باتريك أوليفييه فيهتم بفكر ثيودور أدورنو (١٩٠٣-١٩٦٩) الذي لاحظ غموض التنوير وتنازلاته لصالح الكُلّيانية والتقنية؛ وبذلك يمكن للعقل الخبير أن يُستعبد بدل أن يتحرّر.كما يصرح ميشيل فابر أن جون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢) كان يتناول التنوير من زاوية المنهج وأنه يروج لعملية الانعكاس الذاتي الإشكالي، وهو نهج موصى به الآن في التعليم. أما مايوين رودولت فينطلق في دراسته من أفكار يورغن هابرماس مستلهما قوله بأن الفصل بين العلمانية والحقائق الدينية غاية في التعقيد، لا سيما أن فلاسفة التنوير يتخذون مواقف مختلفة تجاه هاذين الفكرين المتناقضين. أما آن كلير هوسر فقد لاحظت أخيرًا أن فردينانند بويسون (١٨٤١-١٩٣٢) يستخلص من الرسالة المسيحية بُعدها الأخلاقي المتوافق مع علمانية المدرسة. بالإضافة إلى هذه الإسهامات الفلسفية المستوحاة من الغرب، فإن عرض رولان ديبيير للحركة الكونفوشيوسية الجديدة «تيان خا» (Tianxia)، التي تتعارض مع مشروع التنوير، مشككا في ادعاءاتها الكونية، موضحا أن هذا الفكر الصيني يطمح تحديدا إلى «تجاوز الكونية القانونية للتنوير التي كرّست الحرية والمساواة والكرامة الفردية في النظام السياسي، للتحرك نحو كونية أخلاقية مجردة، في العالم، بحيث يكون الكوني النموذج الأصلي» (ص ١١٠).

يأخذنا القسم الثاني من كتاب التنوير والفكر التربوي والتعليمي والفكر التربوي إلى الفضاء المادي للفصل الدراسي. ونجد بهذا الصدد ثلاثا من ست مساهمات مذكورة هنا. منها النموذج الذي اقترحه خوسيه لويس وولفز المعتمد على الأنواع المثالية التي تسمح للمعلمين بالتحقق من المواقف المحتملة بين العلم والمعتقدات الدينية؛ لذلك يحشد، من بين أشياء أخرى، مفاهيم الإيمانية (أسبقية الإيمان على العقل)، والعقلانية (أسبقية العقل على الإيمان)، والتوافقية (التوافق بين العلم والدين) والخلافية (العلم والدين نوعان مختلفان من الحقيقة). يمكن استخدام نموذجه والتحقق من صحته في سياق الدراسات الاستقصائية والعمل التجريبي الذي يتم تنفيذه بالتعاون مع المعلمين. في المقابل يقدم سيلفان دوسو تأريخًا للتفكير النقدي الموضوع في خدمة البحث التربوي، الذي يسمح بالتعامل مع القضايا الحالية مثل الأخبار المزيفة والتحقق من الحقائق والوسائط البديلة. وهنا يقترح المؤلف إنشاء فصل للتاريخ في المجتمع البحثي، ومنطقة انعكاسية تساعد على تطوير التفكير النقدي لدى الطلاب الذي يحتاجون إلى التفكير في القضايا التي تواجه العالم. كما تهتم سيلين شوفينيه بالصلات بين إرث التنوير ومفارقات مفهوم المواطنة الحالي، فهي ترى أن «استعادة السلطة التقليدية ليست هي التي ستعيد للمدرسة قوتها في

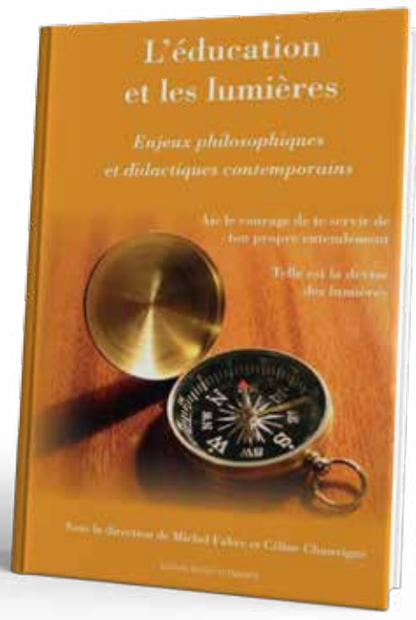


نقل القيم والمعارف، بل تطوير هيئات ديمقراطية حقيقية تسمح للتلاميذ بأداء دورهم وتحمل المسؤولية داخل فضاءاتهم المدرسية» (ص ٢٢٩).

وفي الختام، يدعو جيرار سينسيفي إلى إحداث عصر تنوير جديد مبني على الهندسة الاجتماعية بغية احتراف واكتساب المهارات الفنية والعلمية والحسابية وتطبيقها لتصميم مجتمعات ذكية: «يبدو لي أن روح التنوير الجديد، ستمكن من ارتقاء المجتمعات ومعالجة مشاكلها، لأنها تستند على الهندسة الاجتماعية «التعاون»، التي سنتعاون فيها لإنتاج أعمال مشتركة، وبذلك يُكتسب الذكاء الفردي والجماعي، وتتجسد هذه المساواة في الذكاء والأعمال المكتملة، والتي لا تزال في طور الإعداد، مما سيعمل على تحسين الحياة» (ص ٢٥٤).

أما فيما يتعلق بمنهجية الكتاب، فإنَّ العمل أصيل لأنه يرفع رهان التوليف بين باحثين ذوي سمات تخصصية مختلفة، ومع ذلك انتظموا بانسجام في وحدة البحث التربوي ذاتها، من أجل خلق حوار حول مسألة فلسفية وتربوية ذات أهمية قصوى. كما أنه ساعد في تجهيز نهج فلسفي بأدوات تحليلية جديدة مستجلبة من قنوات معرفية مختلفة، لكنها رغم اختلافها الظاهر تصب في هدف واحد يسعى إلى الوصول إلى منهاج تعليمي عمليّ وأكثر نجاعة. أما من حيث المحتوى المعرفي، فتبدو حركة التنوير حاسمة في فلسفة التعليم، ولكن أيضًا من حيث تحديد خصائص المجتمعات الغربية. ومع ذلك، فإن ادعاء سنّ قوانين تنوير كونية يتم تلطيفه من خلال التذكير بتجربة الحركة الكونفوشيوسية الجديدة التي أكدت وجودها الفعلي في الصين وأماكن أخرى من العالم، ولكن بأشكال مختلفة. بالإضافة إلى ذلك، فإن السياق السياسي الصيني، الذي يدعو إلى هيمنة البلاد على الأسواق العالمية، لا يتلاءم مع التعبير عن فلسفة تدعي أنها كونية على المستوى الأخلاقي.

وبناءً عليه؛ إذا نظرنا إلى الكتاب من حيث الشكل، فسنجد أنه عبارة عن بحوث اندمجت وتناسقت في موضوعاتها وترتيبها في مجموعة من النصوص المتفرقة التخصصات والمشارب والمآرب لتبدو في النهاية وكأنها مساهمات خطتها أنامل واحدة وفكر واحد، ولكنها للأسف ليست بالضرورة في متناول جميع القراء، إذ تحتاج إلى قراء متخصصين أو مهتمين بفلسفة التنوير وعلوم التربية. لكن هذا لا يعيب مساهمة ومبادرة الفيلسوف الفرنسي الشهير ميشيل فابر المتخصص في الفلسفة وعلاقتها بالعلوم التربوية والباحثة المرموقة سيلين شوفينيه في حل المشكلات وربط المساهمات المختلفة في نهاية كل قسم أيضًا من أجل فهم أفضل للقضايا التعليمية المرتبطة بحركة التنوير وكنوزها المعرفية والأخلاقية والتربوية الفريدة من نوعها.

وفي الختام، هذا كتاب موجه للباحثين في علوم التربية والمدربين والمربين والمعلمين وبشكل عام الجمهور المتعلم المهتم بمسألة إرث التنوير وتحدياته في التعليم بشكل عام والمدرسة على وجه الخصوص. وبذلك سيساعد على التفكير الحقيقي في موضوع التربية وأسسها الأخلاقية وفقا لمبادئ التنوير على أن تكون التربية المدنية أكثر من نظام تربوي بسيط ومسألة سلوكية أو تجريبية بسيطة في الحياة المدرسية للطلاب من روضة الأطفال إلى المدرسة الثانوية. ولكن ذلك يتطلب تحليلاً لنقط التلاقي الممكنة بين المعرفة والقيم، أو حتى بين التنشئة الاجتماعية والتنمية النقدية على أساس الخبرات ومساحات المعيشة التي تسمح بنشأتها. ولكن كيف يمكننا تصور تدريب المواطنين في فضاء مدرسي تدعمه علاقة سلطة مع الطلاب، ويكون معظمهم من القاصرين؟ وهنا يجب أن يتعلم المتمدرسون الأسس الفكرية التنويرية النظرية والتطبيقية استعدادًا لممارسة المواطنة الحقة بين المعلمين والمتعلمين التي تعتمد على القيم الأخلاقية والاجتماعية الحية وروح البحث ومبدأ المساواة في الذكاء والتعاون داخل المؤسسات الديمقراطية، لممارسة عملها وتطوير أدائها ومنجزاتها وتحقيق نجاحاتها.

---

**· الكتاب : التربية والتنوير.. القضايا الفلسفية والتعليمية المعاصرة .**

**· المؤلف : ميشيل فابر، سيلين شوفينيه.**

**· الناشر : Editions Raison et Passions، فرنسا، 2020م.**

**· عدد الصفحات : 281 صفحة.**

*** كاتب ومترجم مغربي**

# اقتصاد التنين: كيف تعمل أمريكا اللاتينية على تعظيم (أو فقدان) إستراتيجية التنمية الدولية للصين؟

## كارول وايز

محمد السالمي *

**منذ نهايات القرن العشرين، توجه رجال الأعمال الصينيون لمُختلف دول العالم بحثًا عن الأرباح والسلع وتحديداً تلك التي تفتقر إليها الصين مثل النحاس والحديد والنفط وغيرها. استفادت العديد من الدول النامية من هذا التوجه لتعظيم منفعتها، وفي المقابل تضررت دول أخرى من هذا التوجه. تستكشف كارول وايز في هذا الكتاب الروابط السياسية والاقتصادية بين الصين وأمريكا اللاتينية منذ الخمسينيات من القرن الماضي إلى الوقت الحاضر، مع التركيز إلى حد كبير على ست دول وهي: الأرجنتين والبرازيل وتشيلي وكوستاريكا والمكسيك والبيرو. تتتبع كارول تطور العلاقات السياسية والاقتصادية بين الصين وهذه البلدان وتحلل كيف تباين نجاح بعض البلدان من الاستفادة من الاستثمار الصيني وروابط التجارة بينما لم يستفد البعض الآخر.**

وللتعريف بالكاتبة، فكارول وايز هي أستاذة العلاقات الدولية بجامعة جنوب كاليفورنيا، وتتمحور أعمالها البحثية حول الاقتصاد السياسي في أمريكا اللاتينية وآسيا والمُحيط الهادئ.

هذا ليس كتاباً عن الصين. بل هو بالأحرى كتاب عن رد فعل أمريكا اللاتينية على التفاعل السياسي والاقتصادي للصين معها خلال العقدين الماضيين. منذ ازدهار التجارة والاستثمار بين جمهورية الصين الشعبية وأمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، سعى صناع القرار في الصين إلى تصوير هذه العلاقة المزدهرة باعتبارها ذات طبيعة اقتصادية إلى حد كبير. ففي عام ٢٠١٨، بلغ حجم التجارة بين الصين وأمريكا اللاتينية والكاريبي (الصادرات والواردات) حوالي ٣٠٦ مليارات دولار أمريكي. بينما بلغ تدفق الاستثمار الصيني المباشر إلى أمريكا اللاتينية والكاريبي في عام ٢٠١٨ حوالي ١٢٩,٨ مليار دولار أمريكي، وهو ما يُمثل حوالي ١٥ في المائة من إجمالي تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر الوافدة إلى أمريكا اللاتينية والكاريبي. من جهة أخرى، بلغ إجمالي القروض التنموية المقدمة من الصين إلى منطقة أمريكا اللاتينية منذ عام ٢٠٠٥ وحتى عام ٢٠١٧ حوالي ١٥٠ مليار دولار أمريكي. تتساءل المؤلفة، ما الذي سنفعله بهذه الأرقام؟ لماذا الآن ولماذا أمريكا اللاتينية؟ كيف يشكل التكامل الاقتصادي المحكم مع الصين منذ أوائل العقد الأول من القرن الحالي الاقتصادات السياسية لأقوى شركائها في أمريكا اللاتينية والكاريبي؟

تبدأ كارول في البحث عن الطرق التي اخترقت بها الصادرات الصينية السوق بسرعة في أمريكا الشمالية وذلك بعد دخولها في عام ٢٠٠١ إلى منظمة التجارة العالمية (WTO). وفي عام ٢٠٠٣، صدمت الصين المكسيك من حيث تصنيفها كشريك تجاري مهم للولايات المتحدة، وكانت الصادرات الصينية من المدخلات في التصنيع إلى كل من المكسيك والولايات المتحدة وتحل محل المنتجات المحلية وتنافس المنتجين في كلا السوقين. هل كانت هذه مجرد ظاهرة وحيدة مرتبطة باكتساب الصين مكانة الدولة الأكثر تفضيلاً في منظمة التجارة العالمية؟ في انتهاك لمنظمة التجارة العالمية. استجابت المكسيك برفع الرسوم الجمركية على الواردات الصينية ولكن دون تأثير يذكر. هل أصبحت الصين عضوًا فعليًا في اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا)، بغض النظر عن جهود المكسيك بفرض الرسوم الجمركية؛ ربما كانت هذه الأسئلة مقنعة في ذلك الوقت، لكن الكثيرين تجاهلوها. في أعقاب الأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨-٢٠٠٩ اتسعت هذه الصورة بشكل كبير. وقد أصبح من الواضح أن طفرة الأسعار للسلع الأساسية كانت جارية منذ عام ٢٠٠٣، وكانت مدفوعة بحاجة الصين المتزايدة إلى تلك السلع على وجه التحديد التي تمتلكها بعض دول أمريكا اللاتينية بفوائض كبيرة، مثل النحاس وخام الحديد، والنفط الخام وفول الصويا وغيرها.

لفهم هذه العلاقات بين الصين وأمريكا اللاتينية كانت البداية في النظر من زاوية أن الصين، على الرغم من إبرازها كدولة تنموية آسيوية ضخمة، فإنها تواجه قيودًا على الموارد الطبيعية، وكذلك الحاجة الملحة لإطعام أكبر عدد من السكان في العالم وتغذية أكبر اقتصاد في العالم في المستقبل القريب، وبالتالي كان بالضرورة على الصين تدويل استراتيجيتها التنموية. ماذا عن جانب دول أمريكا اللاتينية من هذه المعادلة؟ وبمجرد أن ارتفع الطلب والذي لحقه ارتفاع في أسعار السلع الأساسية، كان الفائزون من حيث تدفقات الاستثمار المباشر الصيني هم البرازيل وبيرو والأرجنتين. كما حلت الصين محل الولايات المتحدة باعتبارها الشريك التجاري الأول للبرازيل وتشيلي وبيرو وأوروغواي. أما من حيث القروض فقد تدفق رأس المال الصيني اعتبارًا من عام ٢٠١٧، إلى فنزويلا (بقيمة ٦٧,٢ مليار دولار أمريكي) والبرازيل (بقيمة ٢٨,٩ مليار دولار أمريكي) والإكوادور (بـ ١٨,٤ مليار دولار أمريكي)، والأرجنتين (بـ ١٦,٩ مليار دولار أمريكي). عند النظر في هذه الأرقام تتولد بعض الألغاز الأولية. لماذا ، على سبيل المثال ، تحصل الإكوادور وفنزويلا على درجة عالية جدًا من القروض المصرفية من الصين، لكن تحتل مرتبة منخفضة جدًا من حيث تدفقات الاستثمار المباشر من جمهورية الصين الشعبية؟ وكيف يمكن لاقتصاد صغير مفتوح مثل البيرو أن يجتذب ما يقرب ضعف حجم الاستثمار المباشر الصيني الذي تلقته الأرجنتين حتى

عام ٢٠١٧؟.

عند النظر في الدول الناشئة مثل تشيلي وكوستاريكا والبيرو، والتي تفوقت على الأرجنتين والبرازيل والمكسيك بهامش واسع خلال طفرة الصين وما بعدها. عمدت هذه الدول الثلاث بشكل كبير في الإصلاحات الاقتصادية والمؤسسات قبل فترة الازدهار، وبالتالي كانت في وضع جيد لقبول عرض الصين لكل منها للتفاوض على اتفاقية التجارة الحرة الثنائية. وتجدر الإشارة إلى أن انتشار اتفاقيات التجارة الحرة بين البلدان المتقدمة والنامية في التسعينيات طرحت موجة من التحليلات النيوليبرالية بشكل أساسي روجت لفوائدها بناءً على نماذج التوازن العام القابلة للحساب والميزة النسبية. كما يظهر من الكتاب، فإن الدخول في اتفاقية التجارة الحرة بين أمريكا اللاتينية مع الصين فتح خيارات جديدة لهذه البلدان يتحدى المعايير النيوليبرالية الضيقة. سمحت اتفاقيات التجارة الحرة بين الصين وتشيلي والبيرو وصولاً فوريًا لما يصل إلى ٩٠ ٪ من السوق الصينية. في المقابل، فإن دولاً مثل الأرجنتين والبرازيل، تمتلك كل شيء ظاهريًا من حيث عوامل الثراء والتكامل التجاري القوي مع الصين. فهذه البلدان هي الأكثر اندماجًا في استراتيجية التنمية الدولية في الصين، وبشكل ظاهري أيضا هي بلدان تمتلك من الصناعات بما يكفي لتفادي نوبة كاملة من لعنة الموارد. ومع ذلك، ألقت الأزمة الاقتصادية ظلالها على هذه الدول. وقد توسع تعريف لعنة الموارد ليشمل المشهد المؤسسي. من هذه الزاوية، خلال طفرة الأسعار في الصين، عانى كلا البلدين من تآكل المؤسسات الحكومية والاقتصادية، واعتماد سياسات عامة مضللة بشكل خطير، مما أدى لتوقف الإصلاحات الأساسية. ولتحليل لعنة الموارد المؤسسية، يتطرق الكتاب كيف عملت المرحلة الحاسمة مثل طفرة الصين على تقوية أو إضعاف المؤسسات المحلية. في البرازيل ، على سبيل المثال ، مهدت هذه الطفرة لواحدة من أكبر فضائح الفساد في العالم ، سرقة مليارات الدولارات من شركة النفط الحكومية (بتروبراس). بينما في الأرجنتين، مهد الضعف المؤسسي للتدخل التنفيذي والاستيلاء على الموارد من حفنة من الكيانات الخاصة والعامة، بما في ذلك احتياطيات البنك المركزي الأرجنتيني.

وفي حالتي فنزويلا والإكوادور كرواية أخرى، لم تبذل أيٌّ من هذه الدول الغنية بالنفط جهدًا مقنعًا لتنويع قاعدتها الاقتصادية، وكلاهما رفض أنواع الإصلاحات المؤسسية والاقتصادية الكلية التي كان من الممكن أن

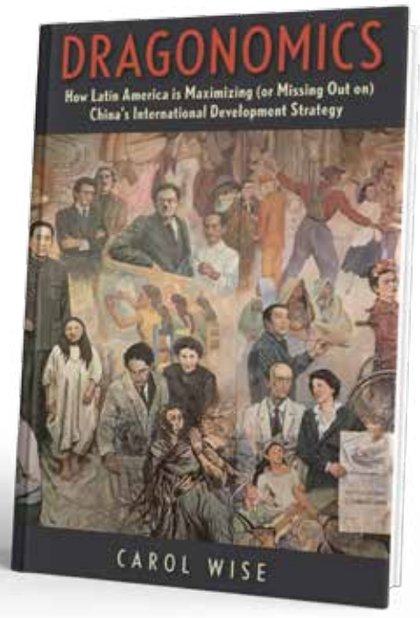


تساعد في تسخير الطفرة الصينية بشكل أكثر إنتاجية. تظل فنزويلا بعد الطفرة غارقة في التضخم المفرط، والتراجع الاستبدادي، والأزمة الإنسانية المأساوية. وكذلك البيئة الاقتصادية والسياسية ما بعد الطفرة في الإكوادور ليست رهيبة، على الرغم من أن بعض التقديرات تشير إلى أن الحكومة قد رهنت الجزء الأكبر من احتياطيات النفط في البلاد للصين.

بالنسبة للصين، كان كلا البلدين ثمارًا متدلية، وهي طريقة سهلة لوضع قدمها في باب منطقة أمريكا اللاتينية والكاريبي من خلال عقود البنية التحتية التي كانت عالية المحتوى الصيني من حيث العمالة، والمعدات، وما إلى ذلك. ليس لدى فنزويلا الكثير لتظهره مقابل المليارات التي أقرضتها لها الصين. أشارت كارول إلى أن هذه القروض في كل من فنزويلا والإكوادور كانت قروضًا من دولة إلى دولة قدمتها الصين دون شفافية أو مشروطة. كان بعضها عبارة عن صفقات قروض مقابل النفط، يتحمل كلا البلدين الآن متأخرات كبيرة بشأنها؛ قام الرؤساء السابقون في كلا البلدين بتوجيه القروض الصينية الأخرى من خلال مشاريع خاصة لا يمكن تعقبها الآن إلى حد كبير. للأسف ، هذا ليس بالأمر الجديد في أمريكا اللاتينية. على الرغم من أن واشنطن ترامب اتهمت الصين بوضع فخ الديون للدول النامية، إلا أن الوضع الفنزويلي يلعب في الاتجاه المعاكس: في ظل غياب المشروطية والتأخر بشكل مؤسف في خدمة مدفوعات ديونها للصين، أوقعت فنزويلا بكين في شرك الدائنين. الاكوادور ليست بعيدة عن ذلك. ألقى الازدهار الصيني بفجوات بين إصلاح الضعف المؤسسي في أمريكا اللاتينية والكاريبي بشكل صارخ، ويبدو أن التكامل الاقتصادي مع الصين لا نهائي، وكذلك للمخاطر.

في الختام يوضح هذا الكتاب أن النجاح قد تتنوع حسب مجالات القضايا والقطاعات والمشاريع عبر هذه البلدان. كان أداء الاقتصادات الثلاثة الصغيرة والمتمثلة في تشيلي وكوستاريكا والبيرو هي الأفضل أداء من خلال تعزيز الإصلاحات المؤسسية والاقتصادية الكلية أثناء فترة الازدهار وبعدها ، في حين لم تتمكن الأرجنتين والبرازيل والمكسيك من اغتنام الفرص المتاحة للإصلاح وإعادة الهيكلة. على الرغم من أن الصين أصبحت سمة ثابتة للمشهد السياسي والاقتصادي في أمريكا اللاتينية، يوضح هذا الكتاب أن العلاقة بين الصين وأمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي لا تزال قيد التقدم. مع انتقال العلاقة بين الصين وأمريكا اللاتينية والكاريبي إلى عقدها الثالث، يشير هذا الكتاب إلى أن القادة السياسيين وصانعي السياسات والنخب الاقتصادية في جميع أنحاء منطقة أمريكا اللاتينية والكاريبي بحاجة إلى تكثيف صفقات الوساطة حول التجارة الثنائية والإقراض وفرص الاستثمار التي تقدمها الصين، مع إيجاد طرق إبداعية لتقليل المخاطر. يعتبر هذا الكتاب دليلًا أساسيًا وسهل القراءة في نطاق الاقتصاد السياسي مع التغييرات الدراماتيكية التي تحدث في عالمنا اليوم. سؤال الكتاب ليس كيف أثر صعود الصين على أمريكا اللاتينية، ولكن كيف لعبت أمريكا اللاتينية أوراقها أثناء صعود الصين. كان أداء البعض جيدًا على الرغم من صغر حجمه، وبعض الدول كان أداءها سيئًا للغاية.

كما تُظهر المؤلفة الدور الكبير للمؤسسات السياسية على المستوى الوطني في تحديد ما إذا كانت ستستفيد من الاتفاقيات التجارية أم لا.

---

- الكتاب : اقتصاد التنين: كيف تعمل أمريكا اللاتينية على تعظيم (أو فقدان) إستراتيجية التنمية الدولية للصين
- المؤلف : Carol Wise
- الناشر : Yale University Press
- سنة النشر : 2020
- اللغة : الإنجليزية

*** كاتب عُماني**

# كريم حكيموف.. سجل حياة
## أليغ بوريسوفيتش أوزيروف

فيكتوريا زاريتوفيسكايا *

**«بفضل القوى الروحانية لهؤلاء الرومانسيين، الذين يحرقون أنفسهم في شعلة التاريخ، يتم بناء المُستقبل. وعلينا التذّكُر أنَّ مثل هؤلاء الناس بالذات يصبحون ضحايا للتغييرات السياسية وللحسد والغيرة والافتراء من الدوائرالداخلية التي لا تستطيع دائمًا رؤية حجم شخصيتهم العظيمة وتقييم ما يفعلونه من أجل الصالح العام».**

بهذه الكلمات يختم الكاتب الروسي أليغ أوزريوف كتابه الذي كرسه لشخصية مُؤثرة في التاريخ السياسي الروسي الحديث، كريم حكيموف. يحمل كتاب «كريم حكيموف... سجل حياة» طبيعة مميزة، فإلى جانب القيمة التاريخية التي تحتلها الشخصية محور العرض والاستقصاء، ثمة قرابة بين مؤلف الكتاب وبطله؛ فالأوّل دبلوماسي سوفيتي وروسي بارز، شغل منصب سفير روسيا لدى المملكة العربية السعودية بين أعوام ٢٠١٠-٢٠١٧، أما الثاني فهو أوّل رئيس لبعثة دبلوماسية سوفيتية في هذا البلد (بداية كان في مملكة الحجاز) في أعوام ١٩٢٤-١٩٢٨ و١٩٣٦-١٩٣٧، حيث ترك أثراً بالغ الأهمية في تاريخ الدبلوماسية الروسية بوجه عام، وفي التاريخ المُعقد لعلاقات بلاده مع هذه الدولة العربية الصاعدة على وجه الخصوص.

نشأ بطل الكتاب في أسرة فلاحين فقيرة من أصول بشكيرية مُسلمة، تلقى دروسه الأولى في المسجد، وكان يستقصي علومه ويُنمّي مداركه ضمن سياقات دينية، جنباً إلى جنب مع ما كان ينشأ آنذاك من حركات سياسية مُختلفة، حتى قاده الطريق إلى الانخراط التام في العمل السياسي والحزبي بُغية الدفاع عن حقوق المواطنين البسطاء والذود عن مصالحهم أمام ضغط السياسة القيصرية التي قيدت حياة الأقليات المسلمة بإجراءات حازمة، ثم اتخذ بعدها توجهاً ثورياً أهّله في العهد السوفيتي لشغل العديد من المناصب في آسيا الوسطى، قبل أن يدخل عالم الدبلوماسية حيث عُيّن قنصلاً عاماً في مدينتي مشهد ورشت الإيرانيتين، ثم مفوضا في جدة وفي الجمهورية اليمنية عام ١٩٢٩-١٩٣١ وبعد رحلة ثانية إلى جدة سقط ضحية القمع الستاليني جرّاء اتهامه بالتورط مع مُنظمة إرهابية تركية. طواه النسيان بعد ذلك ردحٍ من الزمن قبل أن يُعاد له الاعتبار، ويُسمح لموطنه الأصلي، جمهورية باشكورستان الروسية بالاحتفاء به ومنحه رمزية شعبية مستحقة، والأمر ينطبق على جمهورية تاترستان الروسية التي تَعُده مشتركا تاريخيا لها.

يكشف الكتاب عن صفحات غير معروفة من سيرة واحد من الدبلوماسيين السوفيت البارزين الذين ساهموا في بناء دبلوماسية البلاد بعد ثورة أكتوبر من عام ١٩١٧ وأرسوا أسس العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية واليمن. وقد قيّض للمؤلف تكوين صورة متكاملة عن حياة وأنشطة حكيموف، والاقتراب من فهم نفسيته، وقراءة شخصيته، ما أوصله في الختام إلى إنكار فكرة تورطه بمنظمات تركية مشبوهة وهي التُّهمة التي أعدم بسببها. سوى ذلك فنحن حيال دراسة لا تجري على ضفة شخص واحد، بقدر ما جعلت من ذلك الشخص منفذاً إلى نظرة شاملة على أحوال تاريخية هامّة. وليس مصادفة أن يجعل المؤلف لكتابه عنوانا فرعيا يشير إلى مقاصد بحثه: «مصير الإسلام والشيوعية». فلعقود من الزمن، شكّل هذا الموضوع الشائك حقلاً بحثياً خاض فيه زمرة بارزة من العلماء الروس والأجانب، كما شهد الحقلُ مناظرات حامية وصدامات فكرية وإعلامية ما زال أوارها مشتعلا حتى يوم النَّاس هذا. وفيما يخص هذا الكتاب، ومن خلال منظور حياة البطل المليئة بالأحداث، يتفحص أليغ أوزيروف حلقات مهمة من التاريخ الدرامي الروسي في سنوات الاضطرابات الثورية وتشكيل الدولة السوفيتية. وعلى خلفية الأحداث التاريخية الكبرى لتلك الفترة، يقدم الباحث تحليلاً للعلاقة بين التيارات الأيديولوجية المختلفة التي تشابكت وتحاربت في فترات ما قبل الثورة البلشفية وما تلاها، ثم في الاتحاد السوفيتي وما نشأ فيه من صراع بين الشيوعية والأديان، ومنها الديانة الإسلامية التي تشكلت في روسيا عبر المنظور التركي.

في المقدمة التي وضعها للكتاب، يستقرئ المستعرب الروسي، مدير معهد الدراسات الشرقية، فيتالي ناعومكين، البعد التاريخي والعمق النظري للعمل فيقول: «عند النظر إلى عنوان الكتاب واسم مؤلفه، يتبادر إلى ذهن القارئ أنه حيال قضايا سياسية خارجية مثيرة للاهتمام، وذلك قياسا لاسم المؤلف الذي ينطوي على احترافية في الشأن الدبلوماسي الروسي، وبأنه سيروي لنا صفحات شيقة من حياة حكيموف. بيد أنه، ومنذ الصفحات الأولى من الكتاب، تنكشف أمامنا نية المؤلف وسعة نظرته، حيث لا يكتفي بنقل أخبار عن حياة وعمل شخص واحد، بصرف النظر عن مدى أهمية حكيموف ودوره الفعّال في الدبلوماسية الروسية، فنجده يشاركنا وجهة نظره حول ماضي بلدنا. لقد تمكن من إلقاء نظرة جديدة على قضية تشكيل السياسة الخارجية لروسيا وسياستها الوطنية ومواجهة التيارات الوطنية المختلفة في مناطقها المسلمة وتطور هيكلها الفيدرالي». (ص: ٥)

من بين القضايا التاريخية الرئيسية التي يناقشها الكتاب، اهتمام روسيا المتزايد بالشرق الأوسط، والتي تكمن، مثلما يمكن استنتاجها من منطق البحث، في المجالات الدينية والتجارية. لقد بدا هذا الاهتمام أكثر سطوعا بعد انضمام أراضي آسيا الوسطى الشاسعة إلى الإمبراطورية الروسية ومنها ممالك قوقند وخوارزم وبخارى ذات الساكنة المسلمة. وفي واقع الحال فإن روسيا الأرثوذكسية قد تحولت في الفترة بين ١٨٦٤ - ١٨٨٦ من وجهة نظر ديموغرافية إلى بلاد أرثوذكسية مسلمة على حد سواء. وقد كانت الصعوبة الرئيسية في هذا السياق أن الكيان الروسي في

ذلك الزمن كان يقوم على أساس مَلكية مطلقة ودين أرثوذكسي رسميّ، سوى أنه اضطُر، من الآن فصاعدًا، إلى بلورة تفاعل مع الجزء المسلم ذي النسبة السكانية الكبيرة. كما اتخذت زيارة الأماكن الإسلامية المقدسة أهمية سياسية قصوى، ما نتج عنه افتتاح أول قنصلية روسية في شبه الجزيرة العربية عام ١٨٩١ في جدة وذلك من أجل تأمين مصالح الحجاج الروس في المقام الأول. وفي سياق آخر يصف لنا المؤلف ولادة السياسة الروسية تجاه الخليج العربي في نهاية القرن التاسع عشر، والتي سميت بسياسة الأعمال التي أدت في عام ١٩٠٣ إلى تدشين خط بحري بين أوديسا والخليج العربي واستخدام الاتصال المباشر لتوسيع تجارة الكيروسين الروسي الذي كان سلعة رئيسية للإمبراطورية الروسية في الشرق الأوسط في الفترة ما بين ١٨٩٠-١٩١٤.

إن من أصعب وأخطر الأسئلة التي حاول الكاتب الإجابة عنها: ما الذي جعل المسلمين في تلك الفترة التاريخية من نشأة الدولة السوفيتية الفتية أقرب إلى الشيوعيين؟ وللإجابة عن هذا السؤال المشروع والذكي، يشير المؤلف إلى أن الأرثوذكسية في روسيا القيصرية ما قبل الثورة كانت الدين الوحيد للدولة، وأن الإسلام، على الرغم من الاعتراف الرسمي به، إلاّ أنه كان لا يزال في موضع اجتماعي وحقوقي متدن؛ فغالباً ما تموضع مسلمو روسيا في أسفل السلم الاجتماعي، ولم يستشرفوا أي آفاق لأنفسهم في ظل هذا النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وذلك حتى انهيار السلطة القيصرية وانغماس روسيا في خضمّ التحولات الاجتماعية العظيمة.

يُشير المؤلف إلى حقائق عديدة تؤيد فكرته، فعلى سبيل المثال، وبعد الثورة مباشرة، بإيعاز من لينين نفسه، تم توجيه عددٍ من الرسائل الرمزية، ولكن المهمة للغاية، إلى مسلمي روسيا، ومنها إعادة مجمّع «كرافان سراي» في مدينة أورينبورغ إلى المسلمين عام ١٩١٨ وهو مجموعة مبانٍ ذات رمزية دينية للمواطنين المسلمين، وقد تمّ الأمر فور استتباب الوضع للسلطة السوفية في المدينة المذكورة. وكانت السلطة القيصرية قد وضعت يدها على المجمّع التابع للشعب البشكيري المسلم عام ١٨٦٥ بحجة الاستفادة منه للصالح العام.

ومن بين الوقائع التاريخية التي سعى المؤلف إلى عرضها من أجل تعزيز نظرته تجاه السياسة السوفيتية وطريقة تعاملها مع الشعوب المسلمة،

هناك وثيقة سايكس بيكو السرية التي نشرتها جريدة «إزفستيا» عام ١٩١٧ بتوجيه من لينين شخصيا.

ويقدم الباحث رزمة من البيانات حررتها وزارة الخارجية السوفيتية تؤيد فيها مسعى الحركات الوطنية العربية، كهذا المقطع المأخوذ من أحد البيانات: «إننا نهتم بما يحدث في شبه الجزيرة العربية ونؤيد اللحمة الوطنية للعرب وإقامة دولة عربية موحدة وقوية. وبذلك تتطابق مصالحنا مع مصالح العرب، ما يمكّننا من إرساء أسس التعاون السياسي الذي سيعود بالفائدة على الطرفين» (ص: ١٥١)

مع ذلك يُظهر المؤلف الجانب التكتيكي الذي رسم مصالح البلاشفة وحدود تحالفاتهم الداخلية حيث يبيّن طرحهم البرغماتي تجاه مطالب الشعوب المسلمة في الاتحاد السوفيتي بالاستقلال أو الحكم الذاتي. ففي إبريل من عام ١٩١٨ قامت السلطة السوفيتية بحلّ الهيئات الحاكمة لدولة إيدل « أورال الإسلامية التي تمّ إنشاؤها في المؤتمر الثاني للمسلمين الروس وذلك بعد استيلاء الجيش الأحمر على مدينتي قازان وأوفا المسلمتين.

ويعرض المؤلف التغير الذي طرأ على موقف السياسة الخارجية السوفيتية تجاه الدول الإسلامية وتفسيرها للعقيدة الإسلامية باعتبارها على طرف نقيض من الشيوعية، فراحت تهمل رسائل كريم حكيموف القادمة من السعودية ولا تهتم بتوصياته التي تتحدث عن تغيّر الأحوال في هذا البلد الإسلامي، إذ توقفت عمليات سرقة الحجّاج وازداد عدد المدارس وظهرت السيارات والنقل الجوي وتجملت المدن. ومع ذلك فقد أسفرت مجهودات حكيموف عن زيارة الملك فيصل إلى موسكو عام ١٩٣٢. بيد أنه، وعلى الرغم من روعة الاستقبال، فقد نتج عن الزيارة خيبة أمل من كلا الطرفين، السعودي والسوفيتي.

وانطلاقاً من مثال حكيموف ومصيره، يحاول أليغ أوزيروف الإجابة عن سؤال ماهية العلاقة بين سياسة الدولة من جانب وبين الفرد الذي ينفذها من جانب آخر. بمعنى آخر، هل على الدبلوماسي أن يتّبع تعليمات المركز فقط أم أن الواجب يحتّم عليه المشاركة في رسم المسار السياسي لبلاده؟ فإذا كان الأمر يقرُّ بمشاركته البناءة، إذن كيف سيتسنى له ذلك في مراحل تاريخية مختلفة؟ هل لدينا خريطة تاريخية توضح فعّالية دور الفرد في بعض فترات التاريخ، وفعاليّة قراراته الشخصية، بينما في فترات أخرى يكون دوره غير ذي أهمية، فيتم تقييم جدارة الدبلوماسي من خلال دقته في أداء مهام وزارته؟

يأتي أليغ أوزيروف في كتابه بمواد إرشيفية جديدة يعود جزء منها إلى مصادر إنجليزية تم تسليمها للروس في عام ٢٠١٩ وهي تكشف عن مدى الافتراء والكراهية التي ووجِه بها حكيموف من قبل أعداء روسيا الذين اعتبروه خصمًا قويًا إلى درجة أن لورنس العرب كان واحدا من مناهضي أنشطة حكيموف وقام بمواجهتها شخصيا. ومن نتائج التنافس الشرس بين حكيموف والأجانب، أن نشأت بينه وبين الملك السعودي الصاعد عام ١٩٢٦ علاقة راسخة استطاع من خلالها تحقيق أول اختراق بين السوفيت والسعودية، حيث يعود إليه الفضل لأن يصبح السوفيت أول المعترفين بسلطة ابن سعود على أراضي المملكة الموحدة، في حين جاءت لندن ثانيا في هذا السياق، تبعتها فرنسا وهولندا بعد شهرين ونصف.

---

· الكتاب: كريم حكيموف.. سجل حياة.
· المؤلف: أليغ بوريسوفيتش أوزيروف .
· دار النشر: جمعية النشر العلمية/ موسكو/ 2020.
· اللغة: الروسية.
· عدد الصفحات: 232.

*** أكاديمية ومستعربة روسية**

# العدوى الأمريكية: الأوبئة والقانون

## جون فابيان ويت

محمد السماك *

**يُشكل انتشار الأوبئة، وكان آخرها وباء «كوفيد ١٩»، حالة استثنائية في العلاقات بين الناس، وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة، وكذلك في العلاقات بين الدول المتجاورة، وحتى بين القارات. لذلك فإنَّ الوباء يفرض سنّ تشريعات جديدة للتعامل مع الحالات الطارئة والاستثنائية التي يفرضها. ذلك أنه أثناء انتشار الأوبئة تتغيّر أوضاع كثيرة مما يتطلب تشريعات جديدة تواكب هذه المتغيرات، كما أنَّ السلامة العامة تصبح جزءاً من السلامة الفردية، والسلامة في دولة ما، تصبح جزءاً أيضاً من سلامة دول العالم الأخرى. يؤكد على ذلك التداخل بين الدولة الواحدة والتداخل بين الشعوب والأمم.**

**ويتناول هذا الكتاب هذه الظاهرة من خلال التركيز على التحولات والمتغيرات التشريعية التي أسفرت عن انتشار الأوبئة. ويأخذ مثلاً لذلك الولايات المتحدة؛ فالتشريعات سرعان ما اعتُمدت في دول عديدة أخرى، أو أُقرّت ولو بصيَغ مختلفة في مؤسسات دولية (منظمة الصحة العالمية - اليونيسيف.. وغيرها).**

أمَّا المؤلف جون فابيان ويت فهو أستاذ التاريخ القانوني في جامعة يال في الولايات المتحدة. وقد تناول في كتابه «العدوى الأمريكية: الأوبئة والقانون، من الجدري حتى كوفيد ١٩» مسيرة التشريعات الأمريكية التي واكبت هذه الأوبئة، وهي التشريعات التي أصبحت جزءا من التراث القانوني العالمي.

يقول المؤلف إنَّ القاعدة العامة في الولايات المتحدة تقوم على مبدأ التأكيد على أن حرية الفرد تحتلّ سلّم الأولويات، وأنها تتقدم حتى على التضامن الجماعي.

ولكن في حالات الأوبئة، تنقلب هذه القاعدة رأساً على عقب، وتصبح حرية الفرد أساساً لسلامة الجماعة أو لتدميرها. هناك جماعات دينية في الولايات المتحدة ترفض اللقاح ضد الأمراض. فإذا احترم القانون حريتها في الاختيار، فإن هذا الاحترام يعرّض السلامة العامة للخطر عندما يكون المرض معديًا، كما كان الأمر بمرض الحصبة.. وكما هو بمرض كوفيد ١٩. هنا تتوقف حرية الفرد أمام سلامة الجماعة.

وفي العام ١٩١٨ انتشر وباء الإنفلونزا الإسبانية. ومن تلك التجربة المأساوية تعلّم العالم درسين أساسيين:

- الدرس الأول هو أنَّ السلامة الفردية هي المدخل إلى السلامة العامة، وأنه من أجل السلامة الفردية لا بد من فرض قيود على الحرية الشخصية.

- الدرس الثاني هو أنه على علماء الأمراض المعدية أن يكونوا مؤهلين ومستنفرين لإيجاد علاج للمرض وعلاج مقاوم له ومانع لانتشاره (التطعيم). ولكن عندما صدر هذا الكتاب كان عدد ضحايا كوفيد ١٩ في الولايات المتحدة وحدها الذين فقدوا حياتهم قد وصل إلى ٢٣٥ ألف ضحية. وتواصل ارتفاع عدد الضحايا في الولايات المتحدة وفي سائر دول العالم؛ لأنَّ الوباء أخذ الإنسانية على حين غرَّة رغم أنه يتحدر من عائلة فيروسية قديمة وغير مجهولة.

هنا.. ينقل المؤلف عن هيئة الصحة في ولاية ماساتشوست نصًّا صدر في العام ١٨٥٠ (أي قبل ١٧٠ عاماً) جاء فيه: نحن مخلوقات اجتماعية متلازمون مع بعض وتربطنا علاقات لا انفصال لها، ولذلك فإن السياسات الصحية العامة تحتم حماية مجموعة من الناس من أن يكونوا ضحايا مرض أو موت تنقله إليهم أو تسبّبه لهم جماعة أخرى تفتقر إلى حسّ المسؤولية !!

وبالفعل فإن انتشار الوباء كوفيد ١٩ الذي أودى بحياة مئات الآلاف من الناس في كل أنحاء العالم، أدى أيضاً، حسب الأرقام التي أعلنها البنك الدولي، إلى زيادة عدد الفقراء في العالم (الذين يقلّ دخل الفرد منهم عن دولارين في اليوم) بحوالي مائة مليون (في عام ٢٠٢٠ وحده). ويعني ذلك ليس فقط فشل مشروع تخفيض عدد الفقراء أو من هم تحت خط الفقر الذي سبق أن أقرّته الأمم المتحدة، ولكنه يعني إضافة عدد جديد إليهم يصل هذا العام وحده (٢٠٢٠) إلى ٤٩٠ مليوناً.

لقد بيّنت الدراسات حول نتائج التعامل مع وباء كوفيد ١٩ أن السويد مثلاً، التي لم تتبع سياسة الإغلاق واعتمدت على وعي المواطن، تجاوزت نسبة ضحايا الوباء ٥٨,١ من كل عشرة آلاف. وتراجع الدخل القومي السويدي بنسبة ٨,٣ بالمائة. وبالمقابل، فإن دولة مثل نيوزيلندا التي فرضت الإغلاق الاقتصادي والحجر العام على المواطنين، لم تتجاوز نسبة الضحايا لديها ٠,٥ من كل عشرة آلاف مواطن، مع تراجع النمو الاقتصادي بنسبة ١٢,٢ بالمائة.

إنَّ المقارنة بين الرقمين تبيِّن أن تراجع الاقتصاد في نيوزيلندا يزيد ٤ بالمائة على السويد، مقابل زيادة في عدد الضحايا في السويد ٥٣ من كل عشرة آلاف.

وتطرح هذه الأرقام جدلية توقف المؤلف أمامها، وهي: هل تعطي التشريعات القانونية الأولوية للمحافظة على وتيرة النمو الاقتصادي، أم أن الأولوية يجب أن توجه للمحافظة على السلامة العامة؟ أيهما يجب أن تكون له الأفضلية في الرعاية والاهتمام: الاقتصاد الوطني أم الإنسان المواطن؟

مشكلة إذا تراجع الاقتصاد وارتفعت نسبة البطالة والفقر. ولكن المشكلة تكون أكثر فداحة إذا كان البديل عن ذلك هو تضخم عدد الضحايا. وهنا تأتي عملية التشريع التي تقوم على إحدى القاعدتين اللتين يمكن أن تعتمدهما الدولة.

يقدم المؤلف صوراً عن كيفية تعامل الولايات المتحدة مع السكان الملونين (السود والصينيين خصوصاً) لدى انتشار الأوبئة؛ فيقول إنه في عام ١٩٠٠ انتشر وباء الطاعون في ولاية كاليفورنيا ؛ وبعد أن مات مواطن أبيض في مدينة سان فرنسيسكو فرضت السلطات الحظر الكامل على الأحياء الصينية في المدينة. ولم تسمح لغير الأمريكيين البيض بحرية التجوّل. ويقول المؤلف أيضاً إن السلطات مارست الإجراءات ذاتها ضد الأمريكيين الذين يتحدرون من دول أمريكية لاتينية، وخاصة من المكسيك. وحتى عندما انتشر وباء الملاريا بعد ذلك بعقدين من الزمن، اتُهم الأمريكيون السود بأنهم هم مصدر هذا الوباء الفتاك.

ووُجهت التهمة بعد الحرب العالمية الأولى إلى الأمريكيين السود في بالتيمور بأنهم مصدر مرض السلّ. ويقول إنه من أجل التخلص من المرض، كان لا بد من التخلص من مصدره. فكانت الإبادة الجماعية للسود في بالتيمور، وقد التهمت النيران منازلهم وأحياءهم التي منعوا من الخروج منها.

بدأ التحوّل، كما يروي المؤلف، في العام ١٨٦٧. في ذلك الوقت كانت نيويورك السباقة، إذ فرضت سلطات المدينة إجراءات صحية وقائية، منها تحديد عدد المراحيض في كل منزل نسبة إلى عدد سكانه، وشملت الإصلاحات توزيع الحليب على

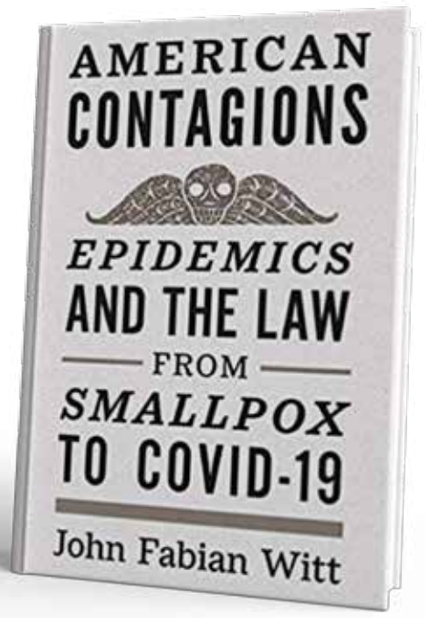


البيوت من أجل تغذية الأطفال وصيانتهم من الأمراض.

ومن هذه الإجراءات أيضاً: إلزام سكان الأحياء بالمحافظة على نظافة شوارعهم وجمع النفايات منها، ومعاقبة المخالفين. في ذلك الوقت لم تكن هناك مجالس بلدية، ولم تكن هناك إجراءات منظمة لجمع النفايات والتخلص منها، أو استثمارها في إنتاج الأسمدة وحتى في إنتاج الطاقة كما هو الحال في الوقت الحاضر. كانت السلطات المحلية تفرض بالقوة الإجراءات التي تراها مناسبة للمحافظة على النظافة العامة بدلاً من الحجر الصحي.

وكان التركيز على المسؤولية الفردية وليس على العمل الجماعي. من أجل ذلك دعا المحافظون في المجتمع الأمريكي -أو في المجتمعات الأمريكية- إلى تعليم الفقراء عادات النظافة وأصولها. ووجدوا في ذلك أداة لتحقيق عدة أهداف أهمها:

- السلامة العامة.
- قطع الطريق أمام الأوبئة وانتشارها.
- حماية مُجتمعات النخبة من أخطار العدوى التي تنطلق من الأحياء الفقيرة.

وكانت المعادلة: إذا كان لا يمكن القضاء على الفقراء، فعلى الأقل يمكن عدم تحويلهم إلى أدوات لإنتاج الأمراض القاتلة.. للجميع !!

ومن هنا، كان الجمع بين فلسفة حماية الأغنياء وتوفير فرص العمل للفقراء، مما يُوفر السلامة الصحية للجميع. ويقول المؤلف جون ويت إنَّ هذه الفلسفة مستمرة حتى اليوم ولكن بصيغة أخرى.

وفي فصل خاص يُلقي المؤلف الضوء على قضية بالغة الحساسية واجهها عالمنا المعاصر لدى انتشار وباء كوفيد ١٩. وهي قضية العلاقة بين الحرية الدينية (حرية ممارسة الشعائر في المساجد والكنائس والمعابد) والسلامة العامة؛ فالحرية الدينية محترمة ومصانة وحتى مقدسة. وكذلك حتى الأفراد والمجتمع؛ فالحجر الصحي يفرض تباعداً بين الناس لمنع انتشار العدوى، وصلاة الجماعة (في المسيحية واليهودية لا تكون الصلاة إلا جماعة وفي الكنيسة، والكنيس وبرئاسة قسيس أو حاخام) في صفوف متراصة كتفاً إلى كتف، قياماً وركوعاً وسجوداً، قد تكون مصدراً لنقل العدوى.

ويقول المؤلف إن قواعد وأسس احترام الحريات الدينية تصطدم بشدة هنا مع الإجراءات الوقائية التي تفرضها الدولة -أي دولة- على أساس أن الأولوية لديها هي السلامة.

ويقول المؤلف إن هذا الأمر ينطبق أيضاً على نزلاء السجون، الذين يعتبرون العزل الفردي مع السجن الجماعي عقاباً آخر.

وفي الحسابات الأخيرة، فإن الأوبئة المعدية وضعت مجتمعات الماضي، وهي تضع مجتمعات الحاضر أيضاً أمام صراع دقيق ومعقد بين الحرية الفردية والإجراءات التنظيمية التي تتخذها الدولة.

---

· الكتاب : العدوى الأمريكية: الأوبئة والقانون.

· المؤلف : جون فابيان ويت.

· الناش ر: جامعة يال، 2020م.

· عدد الصفحات : 174 صفحة.

* مفكر لبناني متخصص في دراسات العلوم والسياسة والفكر الإسلامي

# نوتردام الكُتاب: سرد وشعر وفن حول الكنيسة منذ القرون الوسطى إلى الغد

## ميشيل كريبي وأنطوان جينيزي

محمود عبد الغني *

**في ظهر يوم الإثنين من شهر أبريل/نيسان ٢٠١٩ التهم حريق رهيب سقف كنيسة نوتردام، أحد أشهر الصروح الدينية والسياحية في العاصمة الفرنسية، بعد وقت قصير انهار برج الكنيسة، وانهارت معه مشاعر المسيحيين في العالم أجمع. فالخسارة، التي لم تصدقها عيون متابعي الصور على الشاشات، لم تعصف ببناية دينية عريقة فقط، بل بغرفة مليئة بصدى القرون، تمتد بين السماء والأرض، دنيوية ومقدسة، الأمس واليوم وغداً. غرفة صدى مهيبة تتردد فيها، دون توقف، خيالات الروائيين والشعراء، وأسئلة المؤرخين والفلاسفة. ذلك الإثنين صرخ الفرنسيون صرخة مسيحية جريحة: «رجال الإطفاء أخمدوا النيران، والشعراء جففوا دموعنا». هذا ما يجده القارئ في الكتاب الصادر عن دار «غاليمار» الفرنسية سنة ٢٠٢٠: نوتردام الكُتّاب: سرد وحلم الكنيسة من القرون الوسطى إلى الغد».**

يقترح الكتاب، الذي انتقى نصوصه «ميشيل كريبي» و«أنطوان جينيزي»، وترجم نصوصه المكتوبة باللاتينية وعلق عليها «إيمانويل أريولي»، مجاورة ومواجهة بين ثمانين مؤلفاً مثلت الكنيسة لبعضهم الملاذ الآمن أحياناً، والمذبح الذي يتذوقون فيه لذة التدنيس، وموضوعاً للندم أو للرغبة في البدء من جديد وبشكل مختلف أحياناً أخرى. ورغم أنها فضاء مألوف، فإنها ظلت على امتداد الأزمنة المحك الذي تجري فيه الأحلام الشعرية، وتجوز فيه التخيلات الإباحية. وبقيت هكذا تحت حماية الذين عاصروا تشييدها، أوالعُشاق المتيمين بباريس (بوريس فيون، جاك بريفير، لويس أراغون، إرنست هيمنغواي، أنابيس نين...)

من زار باريس، زار كنيسة نوتردام، ومن زار كنيسة نوتردام زار باريس. تصبح المعادلة، أدبياً أكثر جاذبية، مدينة، رواية، كنيسة، بفضل رواية لفيكتور هيغو في «نوتردام باريس» (١٨٣١، ٩٤٠ صفحة)، التي تُرجمت إلى العربية تحت عنوان «أحدب نوتردام»، الشخصية المثيرة،كوازيمودو، التي اختبأت داخل الكنيسة لإخفاء عاهتها عن العالم. وقد كانت روايته بمثابة ختم على ميثاق بين المكونات الثلاثة: المدينة، الرواية، الكنيسة. وقد كان أيضاً ختماً على انتصار الأدب في تمثيل هذه الهندسة المُبهرة التي كشفت عن عبقرية كبيرة، فلا وجود خارج فرنسا، في العالم الأوربي، نموذجا لنضج الهندسة والدين في آن واحد، المرئي وغير المرئي. ويؤكد مقدم الكتاب، ميشيل كريبي، أنه إذا أردنا مثالاً مجسداً لما رآه القديس أوغسطين من زاوية لاهوتية، فإنَّ نوتردام حاضرة لتلبية هذا الطلب. إلى درجة أن المشاهدين المذهولين أمام حريق أبريل/نيسان ٢٠١٩ لا يشكون فيها أبداً.

حلم الفرنسيون بالتقاط صورة سيلفي رفقة كوازيمودو. وبينما تلتهم النار خشب البناية، رأى الحالمون المتيمون بحب الكنيسة المقدسة أن للنار أقوالاً تريد التلفظ بها. لسان حالهم يقول: تكلمي، إذن، أيتها النار! قولي لنا ماذا تمزقين! تكلمي إلى حزننا! قولي لماذا نحن حزانى!

كان هناك شيء ما جميل في هذه الكارثة، مثلما يحدث غالبا، أو نادراً، مع الكوارث التي تغرس مخالبها بقوة في الأشياء الإنسانية المتعالية.

إذا كنَّا نمتلك تفاصيل كثيرة عن مجموعة من المعالم المعاصرة، فإن المعلومات عن تشييد كنيسة نوتردام باريس بقيت غير دقيقة. وإذا استثنينا السجل الكنسي الخاص بها، ويتكون من مجموعة نسخ من الوثائق القانونية، فإن النصوص التي يذكرونها في فترة تشييدها (من سنة ١١٦٣ إلى منتصف القرن الرابع عشر) نادرة جداً ومختصرة. وبصفتها الثمينة هذه، فهي تسمح بتأسيس الخطوط الكبرى لتاريخ المعلمة وردود الفعل التي أحدثتها.

### الحجر الأول للكنيسة الجديدة والفن الديني

إنَّ أسقف باريس «موريس دي سيلي» هو من قرر بناء كنيسة قوطية جديدة، على غرار كنائس أخرى في شمال فرنسا، مكان الكنائس الرومانية. وأغلب المعاصرين لهذا الحدث عبروا عن حبهم لهذا الرجل الذي، الذي نشأ طفلاً فقيراً ومتسولاً، واستطاع بروحه الصافية الوصول إلى أهم أسقفية في فرنسا، وعمل على تحسين مظهر باريس منافساً في ذلك الملوك. وقد كانت نتيجة عمله كنيسة نوتردام التي شكلت إبداعه الرئيسي في أسقفيته، إضافة إلى تشييده لقصر الأسقفية، والعديد من الجسور والأديرة.

وُضع أول حجر للكنيسة الجديدة سنة ١١٦٣ من طرف البابا ألكسندر الثالث، حسب شهادة لصحفي من القرن الرابع عشر اسمه جان دي سانت-فيكتور. كان التأسيس الأول للفضاء النصف دائري المخصص للكورال قد اكتمل في سنة ١١٧، حسب المؤرخ روبير دي توريغني.

كان للعديد من المؤرخين الفرنسيين، ذكر منهم الكتاب اثنين منهم: جورج ديبي، المتخصص في القرون الوسطى، وجاك لوغوف، جَدٌّ روحي واحد هو «إيميل مال» (١٨٦٢-١٩٥٤)، مؤلف العمل الخالد «الفن الديني في القرن الثالث عشر بفرنسا»، بعنوان فرعي: «دراسة للأيقونات في العصر الوسيط ولمنابع إلهامها»، المنشور سنة ١٨٩٨، وقد كان مارسيل بروست من بين المعجبين به.

### فيكتور هيغو، في حب نوتردام

كتب فيكتور هيغو روايته الضخمة «نوتردام باريس» سنة ١٨٣١. ورغم تعدد شخصياتها، فقد اعتبر النقاد الفرنسيون آنذاك أن «الكنيسة هي أكبر شخصية في الرواية، وربما هي بطلتها الحقيقية» (بول لاكروا، ١٨٣١). حضرت أبواب الكنيسة، واجهاتها، زخرفتها بكل قوتها الرمزية. بدت وكأنها تتحدى الزمن لأنها فريدة نوعها، ضخمة، شُيدت لاستقبال كل سكان المدينة

خلف جدرانها. والرواية جاءت لتقوم بنفس الدور لأنها ستُطبع في آلاف النسخ وتصبح كتاباً شعبياً. الكنيسة تنتمي إلى الشعب، لكن الفئة العالمة فقط هي من تعرف كيف تقرؤها، دون حاجة إلى التأكيد طبعاً، أن القارئ الحقيقي الوحيد هو الأحدب الذي يقرع أجراس الكنيسة: كوازيمودو. ولذلك اشتهرت رواية هيغو تحت عنوان « أحدب نوتردام».

يطرح هيغو جيداً مجموعة من النقط المحورية أمام التأويل: «الأفعى التي تعض ذيلها، هذا الرمز القروسطي الذي يرتبط خصوصاً إلى العلم». وأيضاً الاستطراد الذي يكرسه للغة الشعارات البليغة، التي هي في نفس الآن علم وفن الرسم. وهي تدعو إلى قراءات رمزية كثيرة، ليست بالضرورة دينية كنسية: «لمن يعرف كيف يفكها، إن الشعار عبارة عن علم جبر، الشعار لغة. وكل تاريخ النصف الثاني من العصر الوسيط مكتوب داخل الشعار، مثل النصف الأول من رمزية الكنائس الرومانية. في هذا السياق أشار نقاد رواية «نوتردام باريس» إلى أن هيغو كان قد اطلع على نص غريب لمؤلف اسمه «إيسبري غوبينو دي مونتلويزان»، وهو هرمسي من القرن السابع عشر، يشرح فيه مجموعة من الرموز والأساليب على بوابات كنيسة نوتردام.

أندري جيد: كنيسة السماء، كنيسة الأرض

أوّل نص نشره أندري جيد كان هو «دفاتر وأشعار أندري فالتر». كان عمره حينها عشرين عاماً. وقد ألفه بين مايو/ أيار وسبتمبر/أيلول من سنة ١٨٩٠. وقد جاء في شكل يوميات ومذكرات، باح فيها رجل شاب لابنة عمه بمشاعر حب روحانية وعفيفة. كان بطل اليوميات على نفس حال أندري جيد حين كتب إلى أمه رسالة مؤرخة في ١٨ مارس/آذار من سنة ١٨٩٠، حين كان هو الآخر تحت وطأة حب تملؤه المشاعر الدينية نحو ابنة عمه «مادلين».

إن النظر في أبعاد النصين يسمح بالإعجاب بالطريقة التي مرت بها كنيسة نوتردام من وضعية المكان الملهم إلى منظر يشكل الفضاء الروائي. في النصين يظهر طفل الكورال داخل رحم الكنيسة له أثر رؤية وفرصة لاضطراب حسي: الكنيسة منظورة لكنها مسموعة أيضاً.

في الرسالة التي وجهها إلى أمه، يقول أنطوان جيميزي، نشعر بإدراك الحقيقة التي تغمر الزمن اليومي والمعارف المحكية. وهذا ما يجعل من روح الكنيسة قادرة على التمدد في عالم الرواية بأسره، وتصبح الرغبات الطبيعية المتغيرات الناتجة عن التناغم الظاهر في الكنيسة. لذلك كتب جيد بلغة واضحة: «أردتُ الحديث عن أشياء كثيرة، لكنها تتدافع كلها مرة واحدة. أردت أن أثبت رمزيتي التي ترسم نفسها، ثم بعد ذلك، هذه النظرة في نوتردام، عبر

بوابة المدبج الرئيسي، وأطفال الكورال بثيابهم البيضاء، وضوء المصابيح: الكل يغني، أغنيات واضحة، وتعطي انطباع كورال الملائكة...».

**شاعر ونحات: شارل بودلير وشارل ماريون**

ارتكزت تمثيلات نوتردام على تراث فني ألهم خيال الشعراء وكل من أحبها على طوال العصور. من بين الآلة المليئة بالصور التي تؤسس لتمثيل مشترك لنوتردام، نجد منحوتات شارل ماريون (١٨٢١-١٨٦٨)، التي عرفت صدى طيباً. تُضاف أيضاً أسماء فالتر بنيامين، شارل بودلير مروراً بالمصور الفوتوغرافي براساي (١٨٩٩-١٩٨٤).

كان شارل بودلير يتوقع دوماً ولادة حقيقية لفن تشكيلي مديني، وحين التقى النحات شارل ماريون(١٨٢١-١٨٦٨)، أعجب بفنه فحاول الانخراط معه في مشروع إنجاز ألبوم يضم منحوتات ترافقها نصوص شعرية ونثرية. لم يخب ظن بودلير فالنحات أنجز أعمالاً وضعت الجمهور أمام غلو معين: فبواسطة خدعة المنظور أعطى النحات لمنحوتات نوتردام أبعاداً شبيهة بأبعاد برج «سان-جاك».

لكن كل انتباهه تركز حول وضع تناغم جديد، بعيداً عن الانحصار في رفض «الحداثة الجشعة»، حسب تعبير «أنطوان جينيزي» التي كانت تتهدد عالم الكنائس، فقام النحات بربط علاقة جديدة مع السماء عملت على قلب مفاهيم سيميائيات الكنائس.

**ميخائيل باختين: الكنيسة وأجراسها**

نقاشات وجدالات ميخائيل باختين (١٨٩٥-١٩٧٥) مع الشكلانيين الروس، وأيضاً إعادة اكتشافه من طرف الباحثين الفرنسيين في سبعينيات القرن الماضي، عوامل جعلت منه في مقدمة مفكري القرن العشرين. وقد هدفت دراسته عن أعمال رابلي إلى الكشف عن تقليد شعبي شفوي، تتبعه منذ العصور القديمة، وبقاؤه في العصر الوسيط والنهضة: الرؤية الكرنفالية للعالم. هذا التقليد، الذي شكل فرانسوا رابلي تجسيده الأدبي، يتجاوز سؤال اللغة الوحيد. إنها رؤية حقيقية للعالم. الكرنفال هو عيد يتم فيه الاحتفال بالحياة، وينتصر على الشيخوخة، التي تُفهم بكونها مجموع القوى التي تعارض الولادة. قلب هذا الفكر الفلسفة السائدة آنذاك، منذ أفلاطون حتى المسيحية، والتي تعارض الواحد بالتعدد، والأبدية بالنهاية، السماء بالأرض. كان الكرنفال يحتفل بالأرض التي تحتها يرقد الموتى وتنبت فوقها البذور. وبالتشابه، فكل ما هو سفلي هو جسدي يعلن عن نفسه باعتباره علامة على الولادة الجديدة.

في هذا الفصل من الكتاب، يحلل باختين الحلقة التي تلي تحليق أجراس نوتردام في السماء. الكنيسة وأجراسها حسب اللاهوت الرسمي، توجد في سماء لا تتغير.

سيلفان توسون: العزاء الكرنفالي

بعد حريق الكنيسة في ٢٠١٩، كتب الكاتب الفرنسي «سيلفان توسان» (١٩٧٢-...) يحكي عن ولادة جديدة بفضل نوتردام باريس: الولادة الأولى لجسد تمت معالجته، بعد انهيار قوي، والثانية كانت بفضل الإيمان القوي بالكنيسة.

كتب توسان نصاً في مساء نفس اليوم الذي شب فيه الحريق. نص ألهبه بمشاعره تجاه الكنيسة، كما لو أنه يختبر فيه وعيه بهذا الحدث. هل صعود الأبراج أو السهم في الكنيسة، يمكن النظر إليهما باعتبارهما تدنيساً، وقد اعتبره عزاء «كرنفالياً» للكنيسة نفسها، مستعيراً مفهوم باختين عن أعمال «فرانسوا رابلي» السالف الذكر.

---

- الكتاب : نوتردام الكُتّاب: سرد وشعر وفن حول الكنيسة منذ القرون الوسطى إلى الغد.
- المؤلف : ميشيل كريبي وأنطوان جينيزي.
- الناشر : دار غاليمار.
- سنة النشر : 2020.
- اللغة : الفرنسية.

* أديب ومترجم مغربي

# أسرار الحب الإلهي

## إ. هيلوا

التجاني بولعوالي *

**إن كتاب أسرار الحب الإلهي هو عبارة عن رحلة روحية في قلب الإسلام، كما يحيل إلى ذلك عنوانه الفرعي. إنها رحلة تنبثق من أسرار القرآن الروحية والشعر الصوفي القديم وقصص الأنبياء والمريدين الروحيين عبر التاريخ؛ وذلك بهدف إعادة إشعال جذوة الإيمان وتبديد الشكوك وتعميق العلاقة مع الله. ويعتبر هذا الجهد الفكري والعرفاني حصيلة لتجربة استغرقت أكثر من خمسة عشر عاما من الكتابة والبحث والتعمق في الإسلام و «التنمية الروحية»، على حد تعبير صاحبة الكتاب أ. هيلوا. ولا تكتفي الكاتبة -التي تنحدر من كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية- باستمداد الأسرار الربانية من مختلف الآيات والأحاديث والقصص والحِكَم بلغتها الطرية والصافية فقط، بل تقترح جملة من التدريبات الروحية التي تشدد على قيم المحبة والتقوى والاتكال على الله والقرب الحميمي منه.**

وهذا ما يحيل على أقطاب الصوفية التقليديين كالحلاج وبن عربي وابن الفارض ورابعة العدوية وغيرهم، الذين يعتبرون المؤسسين الحقيقيين للمدرسة الصوفية الحلولية والاتحادية بوجه خاص، ولا يمكن استيعاب مختلف المفاهيم التي تحضر في التجارب الصوفية المعاصرة (ومنها هذه التجربة التي نحن بصدد مراجعتها) إلا بالعودة إلى تلك الجذور الدلالية والمعرفية والتاريخية. وتشير الكاتبة هيلوا نفسها في المقدمة إلى أن ما تعرضه في كتابها ليس جديدا، بل إن أغلب تعاليم الحب والرحمة تم نسيانها. لذلك ليس الإسلام هو الذي يجب أن يتغيّر، بل نحن الذين يجب علينا أن نعود إلى جوهر الإسلام الروحي وإلى رسالته الخالدة التي تتأسس على الحب والسلم والرحمة والحرية والوحدة.

ثم إنَّ هيلوا تعترف بأنها ليست كاتبة، رغم أنها تكتب! بل حالمة ومحبة لله، فهي تحلم بالنفاذ إلى كنوز الإسلام العرفانية، ومن ثم تغيير العالم بالحب. وقديما صرح بن عربي بأن دينه الحب، وأن الله يحب كافة الخلق على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم. والحب الإلهي أكبر من أن يُشرح، رغم أن الخليقة لا تتوقف عن الحديث عنه، كما يقول جلال الدين الرومي.

ويتوزع كتابُ أسرار الحب الإلهي اثنا عشر فصلا تقارب فيها الكاتبة «عرفانية الإسلام» في مختلف تجلياتها الإيمانية والتعبدية والأخلاقية والروحية. واللافت للنظر، أنها تربط أغلب المفاهيم التأسيسية للدين الإسلامي بالبعد الروحي الذي يبدو أنه يشكل جوهر كل عبادة أو سلوك أو علاقة. وتدعو الكاتبة إلى قراءة تجربتها بقلب مفتوح، لأننا بمجرد ما نفتح قلوبنا لنور الله سوف تزهر أجوبتنا عن معظم الأسئلة المحيرة. ثم إن الأمر يتعلق هنا أكثر بالانتظام في تجربة ربانية عرفانية، لا باكتساب معلومات حول الله.

### الله مصدرا للحب

تنهل الكاتبة هيلوا من مختلف مصادر التراث الإسلامي الديني (قرآن، حديث، صحابة) والأدبي (بن عطاء الله، الرومي، الشيرازي) لتثبت كون الله منبعا للحب، فهو خالق الكون ونور السموات والأرض، وهو الحقيقة المطلقة والمتسامية التي توحد بين المختلفات في محيط حبه، وهو الحقيقة التي تلهم الورود لتزهر، وهو نسمة الحب خلف الريح التي تُجرّد الأشجار من أوراقها في الخريف وتزينها بالأزهار في الربيع. ولعل عجزنا عن إدراك هذا السر الإلهي العميق يُعزا إلى أن «لغة الله هي الصمت، وكل ما عداه ترجمة سيئة»، كما يقول الرومي. بينما الكلمات تختزل تأويل الله في حدود لغة البشر، فإن الصمت يحمل إمكانيات لا متناهية. وعندما نتعلم، نتدبر ونُجسّد الصفات الإلهية، نصبح أكثر قربا من الإلهي. ورغم أننا لا نستطيع معرفة جوهر الله واكتشافه، إلا أننا يمكن دائما تجربة تجليات الصفات الربانية.

### من أنت؟

تُعرّف هيلوا الإنسان بأنه مخلوق كوني من صنع إله كامل، فهو لم يوجد نتيجة الصدفة، لأنه كما جاء في القرآن الكريم: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ» (الدخان:٣٨). وهذا يعني أن الدنيا ليست عرضية، فالله كتب قصة الإنسان بقلم الرحمة، وقد أفرغ حبه في كل خلية تتحرك داخله، ثم نفخ روحه في قالب من الطين، ليجعل منه جسرا بين السموات والأرض. ومثل نسيم لطيف بعث الله نور حبه في التربة الجافة، ليمنح الحياة لما كان في الأصل أرضا مواتا.

إنَّ فلسفة حافظ الشيرازي الصوفية تحضر أيضا في هذه التجربة الروحية المعاصرة، حيث إنه لا يجب أن ننسى أن الحب هو سبب وجود الشيء بدل اللاشيء، لأننا خُلقنا لتجديد الحب الإلهي. فالله يتكلم عن هذا الحب عندما يقول: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات:٥٦). في الجوهر، تعتبر عبادة الله أسمى محطات الحب، لأننا لا يمكن أن نعبد شيئا حتى نحبه. ولكي يوجد الحب، يجب أن تكون هناك إرادة حرة، لأنه لا يمكن تحقيق الحب تحت الإكراه، كما يستحيل بلوغ مقام الحب بالقوة.

### العالم السري للقرآن

إنَّ القرآن يعتبر رسالة حب ربانية مرسلة من الله، تكشف لنا عن كل الطرق التي أحبّنا بها هو قبل أن نُعطى الفرصة لنحبه ونتعرف عليه. إن كل كلمة موحاة تنطوي على الرحمة الإلهية، وتتضمن حبه غير المشروط الذي لا يخضع لفعل الإنسان، لذلك فإن القرآن ليس اتجاها رأسيا أو نقطة وصول، بل شرفة مشرعة. إننا لا نُدعى إلى قراءة القرآن فقط، بل إلى تدبره حتى نبلغ بواسطته الجوهر السري لله الذي يتحرك في كل شيء عبر الوجود. إنه يذكرنا بأنه نظرًا لكون أن كل شيء في الخليقة هو مظهر من مظاهر محبة الله، فإنه بفضل وجودنا ذاته لا يمكننا أبدًا أن نكون خارج محيط الحب الإلهي والرحمة اللامحدودة.

إن كل ما نراه في القرآن الكريم يثير حالة من الوعي الخاص في ذاتنا، لأن كل كلمة من هذا الكتاب هي بمثابة مصباح يضيء ظلمة خوفنا، يخترق كهوف لاوعينا، يسلط الضوء على تلك الجوانب من ذاتنا التي نجهد بإخفائها. يبدأ كتاب الله عملية تطبيب القلوب من خلال تعميق الوعي بالأمور التي ابتعدنا فيها عن الله، كما يقول السيكولوجي المشهور كارل يزنغ: «لا يمكن لأحد أن يصبح مستنيرا من خلال تخيل صور الضوء، لكن عبر جعل الظلمة شيئا واعيا».

### البعد الروحي للإسلام

وتذهب الكاتبة هيلوا إلى أن الإسلام ليس دينا فقط، بل فلسفة حياة من شأنها أن تنمّي المؤمن جسديا وذهنيا وروحيا. إن الله لم يبعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لأجل تأسيس دين جديد، بل العكس، لتعزيز علاقتنا بالحقيقة الإلهية. ومع ذلك، فإن القرآن لا يتحدث فقط عن علاقتنا بالله، بل يرشدنا أيضا في علاقتنا بكل المخلوقات، ويوجهنا لأن نتعامل برحمة مع أنفسنا ومع الغير، وأن نكون واعين في استعمال المصادر الطبيعية.

كما أن الكاتبة تركز على مفهوم الإحسان بكونه كنه التجربة الروحية، وهي تقتبس قول جعفر الصادق الذي علم تلامذته أن الناس يعبدون الله بإحدى الطرق الثلاث: أولها طريقة العبد الذي يعبد الله خوفا من العقاب، وثانيها طريقة التاجر الذي يعبد الله من أجل الحصول على الثواب، وآخرها طريقة الحر الذي يعبد الله لأنه يحبه ويمتنّ له، وهذه أفضل طرق

العبادة. فقط عندما نعبد الله بسبب حبنا له، يمكن للعبادة أن تحول كياننا بالكامل. إنه مقام الإحسان كما في حديث جبريل المشهور.

### التوبة عودة إلى الوحدة

إنَّ من أهم الهبات الربانية التي أُعْطِينَاهَا هي ممارسة التوبة، التي دوما ما ترتبط في اللغة العربية بكلمة الندم، غير أنها عادة ما تحيل على معنى العودة، فهي تذكير مفعم بالأمل بأن أرواحنا الأبدية لا يمكن أن تلطخ بشكل لا يمكن إصلاحه من خلال سلوكاتنا أو كلماتنا الفانية. وهذا يعني أنه عندما نطلب العفو من الله، فإننا نعود إلى أصلنا الذي كنا عليه عن طريق إزالة حجاب الخطيئة الذي يحول دون رؤيتنا الحقيقية.

وتظل الفرص قائمة في كل لحظة للرجوع إلى الله، حيث التحسر والندم لا يجب أن يعني شكلا من تعذيب النفس وجلدها، بل تحجيم إقبالنا على الشهوات الدنيوية من خلال التواضع والحاجة إلى الله؛ إن الندم الحقيقي له وقع كالسيف في القلب، وتُطلب المغفرة باللسان بنية أن لا يعود المرء مرة أخرى لارتكاب الفاحشة، كما تنقل الكاتبة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

### الشهادة ونشوة الوحدانية

تؤول الكاتبة هيلوا شهادة الإسلام بطريقة أعمق مما هو متداول في التدين اليومي، فهي ترى أن الباحث عن الله لا يصبح مسلما إلا عبر النطق بالشهادة، التي تعتبر الطريق الأول المؤدية إلى محيط الإسلام الإلهي. إنها ترسخ عملية الاستسلام للإلهي سواء على مستوى الظاهر أو الباطن. إن الشهادة تبدأ من إفراغ القلب من المعبودات المزيفة التي قد تكون في شكل نزعات أو شهوات أو معتقدات، قصد التفرغ المطلق للإله الحقيقي السامي، الذي هو الله. أما الشق الثاني من الشهادة، فيتضمن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بكونه حامل نور الرسالة. فنحن عندما نصلي عليه ونتبرك به ننضم تلقائيا إلى الملائكة في ثنائها على روحه البهية، ونلج نهر النور لنغتسل من الشوائب والدنس.

ثم إنَّ الإيمان ليس شيئا يجب انتزاعه أو تملكه، بل العكس إنه سفر لكشف القناع عما سبق وأنعم الله تعالى به علينا، إنها رحلة كشف واكتشاف الأنا الأعلى. في مقابل ذلك، يؤدي الكفر إلى تغطية النفس بالأوهام والمفاهيم الخاطئة التي تنبني على تأملات الأنا.

### تناغم بين العبادة والحب الإلهي

بالإضافة إلى ركن الشهادة الذي يشكل عصب الإيمان الإسلامي خصصت الكاتبة حيزا مهما لباقي أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج، لاسيما في بعدها الروحي الذي يكاد يخلو من التدين اليومي الروتيني الذي يكتفي بما هو حرفي دون الجوهر، وبما هو شكلي دون اللباب.

فالصلاة ينبغي أن تتناغم مع الحب الإلهي، لأننا ونحن نمارس الصلاة ننفصل عن العالم المادي ونتصل بالحقيقة الإلهية (الحق). إن أداء الصلوات الخمس يوميا يعني الاتصال بالنبع لشحن البطارية الروحية للقلب عبر الحب

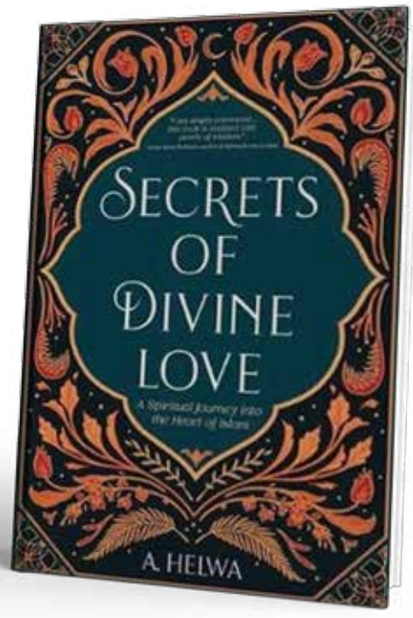


«الكهربائي» لله. ثم إن الصلاة لا يجب أن تمارس لتحقيق هدف ما في نهاية المطاف، لأن التفاعل والتواصل مع الله يشكل المقصد المطلق للحياة. يقول الرومي: «إذا صلينا فقط عندما نشعر بذلك، فنحن لا نصلي لله، بل من أجل تلبية رغبة الأنا بطريقة معينة.» لذلك، فالصلاة تعتبر إحدى أعظم الفرص للتعبير عن الصبر والشكر، لأننا مدعوون لأن نصلي لله بغض النظر عما نشعر به.

أما الزكاة فيمكن أن تشكل أداة لبلوغ مرتبة الحب الإلهي، لأنه عندما تمتلك ما يفتقده الآخر، فإن الله يستجيب من خلالك لدعاء ذلك المحتاج. وبمجرد ما تشرع في خدمة من هو في حاجة إليك، فإنك تصبح بذلك أداة للحب والرحمة والجود الإلهي؛ «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» (آل عمران:٩٢).

في حين أن الصوم لا يعني فقدان وزن الجسم، بل فقدان وزن الخطايا، ويُعلّم الإنسان كيف ينفلت من الأنا التي تثقل وزنه. وهذا يعني أيضا أنه عندما نمارس الصوم، نسحب الطاقة من جانبنا المادي، لنعيد توجيهها نحو اليقظة الروحية.

وهذا ما ينطبق أيضا على شعيرة الحج التي تحيل على العودة إلى الله، حيث المؤمن يهيء نفسه للحج كما أنه يتهيأ للموت، فيدفع ما عليه من ديون، ويكتب وصيته الأخيرة، ويترك ما يكفي من المال لأسرته، ويلتمس الصفح من كل من أساء إليه.

### الأسرار الروحية للموت والجنة والنار

تعتقد هيلوا أننا نحمل روحا أبدية مسكوبة من نفخة الله، حيث أجسادنا بمثابة أوعية لنا، لكن لا تعكس حقيقة من نكون. إن أجسادنا خلقت من الطين، وهذه الأرض هي الفرن الذي تم تشكيلنا فيه وتحويلنا إلى فخار إلهي. فالأرض ليست وطنا لنا، بل شرنقة ومرحلة مخاض حيث تم إفراغنا لنصير حسب ما هو مكتوب علينا. ثم إن الموت ليس نهاية، لكن مرحلة عبور وتحول، حيث تُزال عن يرقتنا ملابسها ليُكشف عن فراشتنا الخالدة. كل شيء حي يبدأ بالموت، أو الفقدان، أو التضحية. إن الحياة تنشأ وتترعرع في سماد الموت. إن الشرنقة يجب أن تستحيل فراشة، والبذرة يجب أن تتشقق قبل أن تنبثق الشجرة. هذ يعني أن الحياة تحتضر لتتطور، والموت هو بمثابة جسر يؤدي إلى تطور وعينا، لذلك يقول الله تعالى: «وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» (الضحى:٤).

وبما أن ثمار الحب لا يمكن أن تزهر بالإكراه ، فقد أعطانا الله حرية الاختيار، وهكذا يمكن أن توجد حقيقة الحب. إن الجحيم بمعناه الحقيقي هو نتيجة ثانوية لإرادتنا الحرة، لأنه بمجرد ما أعطانا الله حرية اختيار أن نحب الله، فإنه يسمح أيضًا بإمكانية اختيارنا الابتعاد عنه. وعلى الرغم من أننا نحصد في الآخرة ما زرعناه في الدنيا، فإننا إذا اختزلنا وجود الآخرة إلى مجرد عقاب وثواب، فسوف نفقد روح الرسالة. إن الجنة والنار ليستا مظاهر فيزيقية فقط، بل تشكلان أيضا حالة من الوجود تعكس شعور الروح عند الاقتراب أو الابتعاد من الإلهي. في الجوهر، يمكن تشبيه الجنة والنار بالمرايا التي تعكس لنا علاقة روحنا مع الله. ولعل الكاتبة تستلهم في هذا المعنى شمس الدين التبريزي الذي يقول: «لا تبحث عن الجنة والنار في المستقبل، لأن كليهما غير حاضرتين. كلما تمكنا من الحب دون توقعات أو حسابات أو مفاوضات، فإننا نكون بالفعل في الجنة. وعندما نتشاجر ونكره نكون في الجحيم».

وبهذه اللغة الصوفية الفيَّاضة، تسرح بنا الكاتبة إ. هيلوا في «عرفانية الإسلام»، وهي تستنبط قيم الحب والرحمة والسلام من كل نص أو عبادة أو سلوك، وتستدعي مختلف التجارب الصوفية التقليدية بنوع من التباهي والإعجاب والتبني. ومن شأن هذه التركة الروحية والقيمية الثرية أن تجعل القارئ يتساءل في حيرة عن التردي الذي يشهده راهن المسلمين اليوم، ليس اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا فقط، بل روحيا أيضا. إن العزوف الفردي والمؤسسي عن قيم الإسلام وأخلاقه تكاد تشكل ظاهرة عامة لدى المسلمين جميعا، رغم أنهم في الظاهر يتشبثون بهذا الدين العظيم ويقتدون بنبيه الكريم ويتلون كتابه المقدس، لعل استلهام أسرار الحب الإلهي في تفكيرنا وسلوكنا وعلاقاتنا من شأنه أن يعيد المجتمع المسلم إلى جادة الطريق لنكون في مستوى الأمانة الإلهية التي أنيطت بنا.

---

**· الكتاب: "أسرار الحب الإلهي.. رحلة روحية في قلب الإسلام".**

**· المؤلف: إ. هيلوا.**

**· الناشر: ناوليت، الولايات المتحدة الأمريكية، 2020م.**

**· عدد الصفحات: 386 صفحة.**

*** باحث مغربي مقيم في بلجيكا**

# حياة مترابطة: كيف يمكن للفطريات أن تشكل عالمنا وتغير عقولنا وتحدد مستقبلنا

## مارلين شيلدريك

طلال اليزيدي *

**الفطريات ليست نباتية ولا حيوانية، وتوجد في جميع أنحاء الأرض والهواء وحتى أجسادنا، يُمكن أن تكون مجهرية ومن الممكن أن تشاهد بالعين المجردة. تمثل أيضًا أكبر الكائنات الحيَّة -من حيث النوع- تم تسجيلها على الإطلاق. الفطريات مكّنت الحياة الأولى على الأرض، ويمكنها البقاء على قيد الحياة بدون حماية في الفضاء والازدهار وسط الإشعاع النووي. في الواقع، تعتمد الحياة كلها تقريبًا بطريقة ما على الفطريات. هذه الكائنات المدهشة بلا حدود ليس لها دماغ ولكن يمكنها حل المشكلات والتلاعب بسلوك الحيوانات بدقة مدمرة. شكلت الفطريات تاريخ البشرية، من خلال إعطائنا الخبز والكحول والأدوية المنقذة للحياة، وقد ثبت مؤخرًا أنَّ خصائصها المخدرة تخفف عددًا من الأمراض العقلية. من الممكن تسخير قدرتها على هضم البلاستيك والمتفجرات ومبيدات الآفات والنفط الخام في تقنيات عالية الدقة، واكتشاف أيضاً أنها تربط النباتات في شبكات تحت الأرض، «شبكة الغابة الواسعة» (wood wide web) التي بدورها غيرت الطريقة التي نفهم بها النُظم البيئية. ومع ذلك، فإنَّ أكثر من تسعين في المائة من أنواعها لا تزال غير موثقة. كتاب حياة مترابطة يضمن رحلة تغير العقل إلى عالم مذهل وملهم، ويوضح أنَّ الفطريات توفر مفتاحًا لفهم الكوكب الذي نعيش عليه وفهم الحياة نفسها. فهذا الكتاب أحد تلك الكتب النادرة التي يمكنها حقًا تغيير الطريقة التي ترى بها العالم من حولك.**

تعيش الفطريات في جميع أنواع الكائنات الحية، على الأسطح، وداخل التربة وتحتها، وفي الهواء، وفي الماء، وفي أرضيات المحيط العميقة وداخل الصخور الصلبة. في هذه الأماكن، الفطريات ليست موجودة فحسب بل إنها أيضاً تلعب دوراً هيكلياً. لقد لعب تفاعلها مع المواد الأخرى دورًا أساسيًا في صنع العالم الذي نعيش فيه. الاندماج التكافلي للطحالب مع الفطريات لتكوين الأشنات مكّن الأسلاف الخالية من الجذور لجميع نباتاتنا من الظهور من الماء إلى اليابسة في المراحل الأولى التطويرية للكائنات الحية. في الوقت الراهن ٩٠ في المائة من جميع النباتات تعتمد على الفطريات لامتصاص المعادن. يمكن للفطريات أن تأكل معظم القمامة وحتى انسكاب الزيت. يمكننا استخدامها بعدة طرق، كصناعة العقاقير الطبية والطبخ وحتى بناء الأثاث.

في هذا الكتاب مارلين شيلدريك Merlin Sheldrake عالم الفطريات الذي يدرس شبكات الفطريات تحت الأرض يجوب بالقارئ في عالم الفطريات بحماس ودقة. بدأ مارلين افتتانه بالفطريات في الطفولة. فمنذ نعومة أظافره أحب ألوانها وأشكالها الغريبة ورائحتها الشديدة وقدراتها المذهلة. مارلين أيضاً فخور بالطريقة التي يتحدى بها هذا المجال الأكاديمي غير العصري افتراضاتنا وفهمنا للحياة في عمق جذور النباتات. كتاب حياة مترابطة كتاب يتحدث عن كيفية تداخل أشكال الحياة وتغيير بعضها البعض باستمرار. في ثنايا الكتاب ينتقل مارلين بسلاسة بين القصص والأوصاف العلمية والقضايا الفلسفية. مارلين شيلدريك عالم أحياء فطرية حصل مؤخرًا على الدكتوراه من جامعة كيمبريدج. أجرى الكثير من أعماله في جزيرة بارو كولورادو في بنما، حيث درس التفاعلات بين الأشجار عبر الفطريات. يكتب عن بعض أعماله في بحث الدكتوراه ولكن أيضًا يكتب عن الفطريات المبهمة لغير علماء الفطريات.

كتاب شيلدريك هو مجمع للفطريات في كتابه تحدث عن العديد من أنواع الفطريات. الفطريات التي ترسل إشارات للخنازير من تحت الأرض، الفطريات التي استعمرت الأرض من البحر ومكنت النباتات من الانتقال إلى الشاطئ، الفطريات التي تربط الأشجار في شبكة نظام تبادل، الفطريات التي تسيطر على عقول الحشرات، والفطريات التي تنتج الكحول وتمكن من صنع الخبز، والتي كانت ترقص مع الإنسانية منذ ما قبل فجر الزراعة. يمكن للفطريات أن تحتوي العشرات من الأجناس المختلفة ويمكن أن تحول حتى أكثر الكائنات غير الحية (سواء كانت خشبية أو حتى صخرية) إلى حياة. يمكنها الشعور بما يمكن أن نسميه الروائح أو الأذواق من خلال مجمل أجسامها الخيطية. في هذه المراجعة سوف ألقي الضوء ببعض من التفصيل على أنواع الفطريات التي وردت في الكتاب.

هناك أكثر من مليوني نوع من الفطريات. ويوضح مارلين أن معظمها يتخذ شكل خيوط متعددة الخلايا تسمى خيوط (hyphae) تنمو عند أطرافها، وتتفرع في جميع الاتجاهات، وتتزاوج، وتندمج، وتتشابك، مما يؤدي إلى إنشاء الشبكات المعروفة باسم الميسيليا (mycelia). الفطريات التي نراها، الفطر، والأقواس، والعفن، هي أجسام الثمار التي تنبت من الفطريات وتتكون من شبكة من الخيوط لإطلاق الأبواغ، يبلغ حجم الأبواغ الفطرية التي تطلق في الجو خلال عام واحد حوالي ٥٠ ميجا طن. تتركز الأبواغ في الغلاف الجوي، وأحيانًا تغير الطقس، تتشكل قطرات من الماء على الأبواغ، لتحبس تلك الأبواغ المزيد من الرطوبة، فتصبح نواة قطرة من المطر أو حجر البرد.

يقول مارلين شيلدريك إن شبكة الميسيليا الفطرية هي النسيج الذي يربط أنحاء العالم بعضه بعضاً. تتداخل الشعيرات الفطرية في التربة خلال الأجسام الحية والمتحللة، النباتية أو الحيوانية. ثم يبحث كل طرف استكشافي عن الماء والمغذيات التي ستبدأ في امتصاصه، وإرسال إشارات كيميائية إلى أجزاء أخرى من الشبكة. في بعض الأنواع من الشبكات الفطرية اكتشف العلماء انتقالا لموجات كهربائية. بعد انتقال الإشارة تتجه الخيوط الفطرية الأخرى التي تتلقى هذه الإشارات نحو موقع الماء والغذاء. اكتشف العلماء أن هذه الشبكة الفطرية يمكنها تخزين المعلومات؛ فحاولوا إزالة مصدر الغذاء وقطع جميع التوصيلات بين الخيوط الفطرية، فظهرت

خيوط فطرية جديدة نمت و توجهت في الاتجاه الصحيح نحو الغذاء و الماء. من وجهة نظر الكاتب، يصعب عدم تسمية هذه الظاهرة «بالذاكرة»؛ لأن الخيوط الفطرية نمت وشكلت وصلات جديدة وتوجهت نحو الغذاء. تقوم الأطراف بتوزيع «المعلومات» إلى باقي الشبكة، واستجابة لذلك، تقوم شبكة الفطريات بإجراء تغييرات مفيدة على سلوكها. فهذا النظام الشبكي أكثر من مجرد تفاعل كيميائي بل كيان متجاوب لأفعال من الممكن أن تخدم أو تضر. يطرح شيلدريك فكرة ذكاء السرب على هذه الشبكة الفطرية، لكن السرب يتكون من أفراد منفصلين، في حين أن شبكة الفطرية المتواصلة والمتشابكة تعمل ككل مادي.

التساؤلات في الكتاب تصبح أكثر تعقيدًا بالأخص عندما يبدأ الكاتب بالحديث عن فطريات الميكوريزال (Mycorrhizal). فطريات الميكوريزال هي الأنواع التي شبكتها الفطرية (mycelia) تخترق وتتشابك مع جذور النباتات. فيحدث التبادل التكافلي بين الفطر والنبات، حيث يقوم النبات بعملية التمثيل الضوئي بإطعام الميسليا بالكربون ويتلقى منه النيتروجين والفوسفور والعناصر الغذائية الأخرى. تقوم النباتات بنقل المعلومات الكيميائية من الهواء إلى الفطريات، والفطريات كذلك تحمل إشارات مماثلة للنبات من تحت الأرض. في الغابات تتكون شبكة تضم العديد من الأنواع، شبكة واسعة النطاق وكثيفة لدرجة أن الأشجار تكتشف ما يحدث لبعضها البعض عبر مسافات طويلة تحت الأرض. بعض العلماء يسمون هذا الشبكة «شبكة الغابة الواسعة». أدرك العلماء أن في أجزاء من الشبكة التي يكون فيها الفوسفور نادرًا، يتعين على النبات توفير المزيد من الكربون من أجل تحفيز عملية إطلاق الفسفور عن طريق شبكة المايسيليا. استجابةً إلى إشارات الكربون، تحمل المايسيليا الفسفور من حيث يتوافر إلى مكان طلبه. يسأل الكاتب نفسه عما إذا كانت النباتات والفطريات، على الرغم من أنها بلا عقل، تقيّم المقايضة وتتخذ القرارات. التعقيدات في هذه الإشارة الكيميائية تجلب مصطلحات إلى الذهن مثل «المغازلة» أيضًا. فعلى سبيل المثال تستخدم الخيوط الفطرية (Hyphae) العلامات الكيميائية لجذب الأزواج المتوافقين، وتستخدم الكمأة والفطريات الأخرى الرائحة لإغراء الحيوانات التي ستأكلها لتنشر أبواغها وتتكاثر.

بعض الفطريات يعيش حياة تكافلية مع الحيوانات. فطر أوفيوكورديسيبس أحادي الجانب (Ophiocordyceps unilateralis) هو فطر يستخدم النمل بشكل طفيلي. تتحول البوغيات

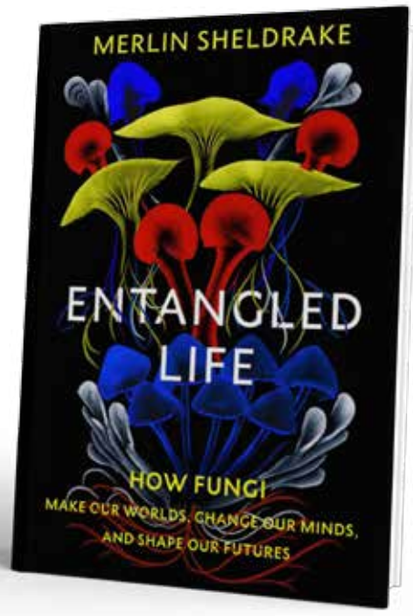


الجراثومية التي تسقط على النملة إلى خيوط تختبئ وتنمو إلى فطريات لتشكل في النهاية ٤٠٪ من كتلة جسم النملة. فقط دماغ النملة يبقى غير مخترق من قبل الخيوط الفطرية، لكن عدم نمو الفطر على دماغ النملة يجعل هذه القصة أكثر شراً، حيث يبدو أن هذا الدماغ أصبح سجينًا عاجزًا. تفرز الفطريات النامية على النمل مواد كيميائية تتلاعب في سلوك النمل، ويدفع الحشرة إلى مغادرة العش، وتسلق ساق نبات طويل، وبعدها تثبيت فكها في الجانب السفلي من الورق، ثم تظهر الخيوط الفطرية من القدمين وتربط النملة بالنبات، ثم تقوم الفطريات بهضم النمل. كما يقول شيلدريك، فإن العملية دقيقة للغاية، لأن الفطر قادر على نقل النملة إلى مكان به الرطوبة ودرجة الحرارة المناسبة تمامًا لجسم الثمار، وهو فطر طويل نحيف، ينمو الآن من جثث النمل، متموضع على عش النمل لتسقط جراثيمها على العش أدناه. هذا الافتراس من قبل فطر أوفيوكورديسيبس مرعب بعض الشيء، حتى لو لم تختبر النملة شيئًا من الممكن أن نسميه المعاناة، ولكن مشهد نهاية حياة النمل بالفطر مروعة مثل الدراما المرعبة. حقيقة إن أوفيوكورديسيبس Ophiocordyceps قد تطور طبيعياً للقيام بذلك وليس لديه خيار آخر لا يحدث فرقًا يذكر في تحسين صورة المشهد المرعب، فتحولت تصورات النمل ورغباته إلى أعداء يوجهونه إلى الموت، ولا يوجد تكافل أو تفاوض في هذا الموقف. حتى حيوان المزرعة، وهو حيوان حر على أي حال، لديه بعض الفاعلية أثناء حياته، لكن هذه النملة ليس لديها أي تأثير على الإطلاق، بل تصبح مجرد وسيلة لتحقيق غاية يريدها فطر الأوفيوكورديسيبس.

يفعل البشر أحيانًا ما يفعله فطر الأوفيوكورديسيبس، وأشياء أخرى بغيضة ينجحون غالبًا في اعتبارها صحيحة، أو طبيعية، أو لا تستحق الملاحظة. ومع ذلك فإنَّ البشر وحدهم، على حد علمنا، لديهم القدرة على رؤية سلوكهم الطبيعي على أنه خطأ. جعلتني القراءة عن مصير هذا النمل أمسك بفكرة وجود ضمير، يجعلنا مختلفين عن الفطريات، أو عن نمر ذكر يقتل أشبال أنثى لإحضارها إلى القطيع. على الرغم من أن كتاب حياة مترابطة لا ينطوي أبدًا في جانب الجدال أو الوعظ، إلا أن الكتاب يحتوي على رسالة نبيلة واحدة: الإنسانية ليست بالفطرة مميزة ولا هي الجنس المسيطرة حقًا. بدلاً من ذلك، تستخرج البشرية وتستمد قوتها من شبكة الترابط بين الأنواع المختلفة من المخلوقات وقرابتهم المتنوعة، ومفهوم أن الجنس البشري متميز ومسيطر بتفرد ليس إلا فكرة واهية. الكتاب عبارة عن دعوة للتفاعل مع الفطريات على مستواها. يقول الكاتب «هل من الممكن للبشر، بأدمغتنا وأجسادنا ولغتنا الحيوانية، أن يفهموا مثل هذه الكائنات الحية المختلفة؟ كيف يمكن أن نغير أنفسنا في هذه العملية؟ «مثل الفطريات، «نحن عبارة عن أنظمة بيئية تمتد عبر الحدود وتتجاوز الفئات، وتنبثق ذواتنا من التشابك المعقد للعلاقات الاجتماعية .»

كتاب حياة مترابطة واحد من تلك الكتب النادرة التي يُمكن أن تغير حقًا الطريقة التي ترى بها العالم من حولك، قراءة كتاب حياة مترابطة سلسلة، وكاشفة لحقائق مذهلة حتى للمتخصصين، فالسرد في الكتاب يبعث الحماس. كتاب حياة مترابطة تحفة حقيقية، وذو نظرة ثاقبة مثيرة ورائعة للعالم الحي، مكتوبة بشكل جميل ومسل ومرح وملهم، مع تمثيل العلم بعناية ومسؤولية.

---

- الكتاب: حياة مترابطة: كيف يمكن للفطريات أن تشكل عالمنا، وتغير من عقولنا، وتحدد مستقبلنا.
- الكاتب: مارلين شيلدريك.
- دار النشر: Bodley Head
- سنة النشر: سبتمبر، 2020.
- لغة النشر: الإنجليزية.
- عدد الصفحات: 368 صفحة.

*** كاتب عُماني**

# عصور ما قبل التاريخ من البنيوية الرياضية

## إريك ريك وجورج شيمر

وليد العبري *

**في الآونة الأخيرة، اكتسبت النقاشات حول البنيوية الرياضية زخماً مرة أخرى داخل فلسفة الرياضيات، حيث تبحث في القضايا الأنطولوجية والمعرفية بطرق جديدة. تستند هذه النقاشات إلى مناقشات البنيوية التي بدأت في الستينيات في أعمال فلاسفة مثل بول بنصراف وهيلاري بوتنام. إذا ذهبت إلى أبعد من هؤلاء المُفكرين السابقين، فإن هذه النقاشات الجديدة تدرك أيضاً أن الدافع وراء وجهات النظر البنيوية يجب أن يكون مرتبطاً بالتطورات المنهجية في الرياضيات. في الواقع، عملياً جميع الأفكار والأساليب ذات الصلة لها جذور في التحول البنيوي الذي خضعت له الرياضيات الحديثة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، يستكشف هذا المجلد المحرر من المقالات الجديدة لكبار العلماء في فلسفة الرياضيات هذا «ما قبل التاريخ» الذي تم تجاهله سابقاً البنيوية الرياضية.**

يستكشف المساهمون هذه الخلفية التاريخية من خلال بُعدين مختلفين لكنهما مترابطان. أولا، يعيدون النظر في المساهمات المنهجية لشخصيات رئيسية في تاريخ الرياضيات، مثل ديداكن وهيلبرت وبورباكي، المسؤولين عن إدخال أنظمة أعداد جديدة، والجبر، والهندسة التي غيرت مشهد الرياضيات. ثانيا، يعيدون فحص مجموعة من الانعكاسات الفلسفية للفلاسفة ذوي الميول الرياضية، مثل راسليل وكاسيرير كلاين، الذين أدى عملهم إلى استنتاجات عميقة حول الجوانب المنطقية والمعرفية والميتافيزيقية للبنيوية. بشكل عام، لا تُظهر المقالات في هذا المجلد أن تاريخ ما قبل البنيوية الرياضية أغنى بكثير مما يُقدّر عموما، ولكن أيضاً أنه من الأهمية بمكان مُراعاة هذا التاريخ الفكري الأوسع لإثراء النقاشات الحالية في فلسفة الرياضيات. ستثير الأفكار المتضمنة في هذا المجلد اهتمام العلماء والطلاب في فلسفة الرياضيات وفلسفة العلوم وتاريخ الفلسفة.

من الصعب تحديد ما إذا كان يجب اعتبار هيرمان جراسمان فيلسوفا ذا ميول رياضية أو عالم رياضيات فلسفياً، لأنه كان ذاتي المعرفة في الرياضيات (لقد تعلم الرياضيات بشكل أساسي من كتب والده، يوستس، ومن أطروحة ليجيندر)، باللغة اليونانية فقه اللغة، وجزئياً أيضاً في الفلسفة. درس اللاهوت في جامعة برلين في نهاية العشرينيات من القرن التاسع عشر، وحضر من بين دورات الفلسفة، محاضرات شلايرماخر فقط حول الديالكتيك ومحاضرات ريتر حول تاريخ الفلسفة. على أي حال، فإن مساهماته الرئيسية تتعلق بالرياضيات واللغويات، وليس الفلسفة. أو بالأحرى، حصل على التقدير بشكل أساسي بسبب نتائجه الرياضية وإنجازاته اللغوية، بينما لم تحظ فلسفته في الرياضيات باهتمام مُماثل، حتى بعد وفاته. ومع ذلك، فإنَّ جزءا كبيرا من عمل جراسمان الرياضي مكرس على وجه التحديد للعلاقة بين ظهور نظرية رياضية تجريدية جديدة والحاجة إلى إطار فلسفي جديد لفهمها، أيضاً العلاقة بين تطبيقات معينة لهذه النظرية وخصائص لوبينز العالمية، وأخيرا توصيف التخصصات الرياضية عن طريق الاستنتاج الفلسفي لمفاهيمها الأساسية والرياضيات كعلم التفاصيل المتولدة من عنصر مُعين.

على الرغم من العدد المتزايد من المنشورات المتعلقة بجوانب معينة من كتابات جراسمان الرياضية أو الفلسفية، لا يزال من الصعب العثور على مُعالجة شاملة لفلسفته في الرياضيات. هناك عدة أسباب لذلك: أولاً تختلف فلسفة جراسمان في الرياضيات باختلاف الكتابات، ثانياً من الصعب التمييز بوضوح بين مفهومه ومفهوم شقيقه روبرت، ثالثا حيث يمكن تتبع التمييز، يبدو أن روبرت كان الشخص الأكثر اهتماما بالمنطق وفلسفة المنطق، رابعاً لا يُمكن قراءة أسلوب جراسمان الفلسفي، النموذجي للفلسفة الطبيعية في أوائل القرن التاسع عشر، بسهولة من قبل الفلاسفة المعاصرين، خامساً تم تفسير جراسمان بطرق مختلفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين. تجسد هذه التفسيرات المصير الفلسفي لجراسمان، والذي ربما يكون أقل «مأساويا» من ثروته الرياضية، ولكنه ليس محظوظا حقا، لأنه غالبا ما كان يستخدم لتأكيد مفهوم معين للرياضيات بدلا من قراءته للتحقق من وجهة نظره حقاً. لم تؤكد هذه التفسيرات بشكل كاف على دور التفاصيل في رياضيات جراسمان (كاسيرير)، ودور الحدس وأسباب العرض شبه البديهي لنظرية الإرشاد والحساب (كلاين)، والاختلافات بين النظرية العامة للأشكال والنظرية الرمزية. معالجة الأشياء الرياضية كعلامات لا يهم مرجعها (هانكل). ومع ذلك، فإن كل هذه الجوانب وثيقة الصلة بفهم جراسمان لتشكيل المفهوم في الرياضيات ومساهمته في تاريخ البنيوية المنهجية والفلسفية. سأحاول إعادة بناء تعريف جراسمان للرياضيات على أنها علم الخاص، والتحقيق في تمييزه المعقد بين الرسمي والواقعي، مشيراً إلى بعض التفسيرات الفلسفية التي نوقشت سابقاً.

لذا فيما يلي لن يكون كافياً أن نتذكر العديد من مساهمات جراسمان الرياضية ذات الصلة بالتحول البنيوي للرياضيات، مثل الجبر المجرد والجبر الخطي ونظرية الأعداد. ستكون المهمة الأكثر أهمية هي إعطاء إعادة بناء معقولة وشاملة لفلسفة جراسمان في الرياضيات، كما تنبثق من أعماله الرياضية الخاصة، بدلاً من التفسيرات المؤثرة اللاحقة، مثل تلك التي كتبها هانكل وكاسيرير وكلاين. نتيجة لذلك، سيظهر أن مفاهيم الجمع الخطي، والمتسلسلة، والإضافة أكثر أهمية بالنسبة لجراسمان من مفاهيم الوظيفة والتخطيط والنظام. الرياضيات هي علم الخاص، والنظرية العامة للأشكال لا تنتمي إليه بشكل صحيح، لأنها تدور حول روابط غير محددة.

من خلال البنيوية المنهجية، أنوي تحليل الطريقة التي يطبقها علماء الرياضيات عندما يقومون بالرياضيات، والتي تطورت بمرور الوقت. عرّف راك وبرايس البنيوية المنهجية على أنها منهجية «تحفز»، بشكل صريح أو ضمني، العديد من وجهات النظر البنيوية في الأدبيات الفلسفية. يستخلص ريك وشيمر في مقدمة هذا المجلد قائمة من الشروط التي ينبغي أن تميز البنيوية المنهجية. أتبع اقتراحهم على نطاق واسع وربط البنيوية المنهجية بالأسئلة المتعلقة. أولا: نقد الرياضيات كعلم مجال معين من الأشياء (على سبيل المثال، الكميات)، فيما يتعلق بالأشياء المنعزلة بدلا من العلاقات، ثانيا: دور الحدس والاستنتاجات الرسمية، ثالثا: دور البديهيات والثوابت والتطبيقات، ورابعا العلاقة بين الطرق البديلة لتأطير الرياضيات (على سبيل المثال، نظرية المجموعات، نظرية الفئات). تتناول هذه البنيوية المنهجية أسئلة فلسفية عميقة، والتي تنشأ غالبا في الممارسة الرياضية نفسها أو في التحليل التاريخي لتطور النظريات الرياضية.

تُستخدم البنيوية الفلسفية هنا كاسم جماعي لعدد كبير من النظريات الفلسفية المختلفة التي تركز على السؤال الأساسي، «ما هي البنية؟» تتعلق القضايا النموذجية، على سبيل المثال، أولا: بما إذا كانت هناك أشياء وعمليات، وما هي علاقاتها بالهياكل، ثانيا: ما إذا كان يمكن تمييز الهياكل العامة عن هياكل معينة وعن النماذج، ثالثا: ما نسميه «رسميا» في هيكل وما هو الدور الذي تلعبه البديهيات داخلها. وفي أحد الأقسام الأخرى تناول، آلية ربط وتحليل هذه القضايا بدراسة الإجابات المقدمة في النقاش الفلسفي المعاصر بواسطة شابيرو، وبارسونز، وفيفرمان، وإيزاكسون، وبورجيس. يتم

استخدام التمييز المؤقت بين البنيوية المفهومية والبنية الكائن لتوصيف منظور جراسمان الخاص فيما يتعلق ببعض الأساليب المعاصرة.

الهدف بالتأكيد ليس تحديد ما إذا كان جراسمان رائدا لموقف فلسفي معين في الجدل المعاصر. قد يكون هذا عفا عليه الزمن تماما، لأن الرياضيات والفلسفة تطورتا بعمق منذ زمن جراسمان. من ناحية أخرى، ترتكز العديد من مفاهيم البنيوية إما في نظرية المجموعة أو في إطار فئوي لم يتم تطويره بعد في ذلك الوقت؛ من ناحية أخرى، يعتمد النهج التحليلي للبنيوية على فهم جديد للرياضيات والمنطق تم تقديمه، على سبيل المثال، بواسطة دادكين، فريك، بينو، روسيل وهيلبرت، مما يجعل من الصعب فصل استخدامنا المشترك لمفاهيم معينة (مثل الوظيفة، المفهوم، المساواة) من الاستخدام المقابل الذي قام به جراسمان. ومع ذلك، شريطة توضيح الاختلافات التاريخية بوضوح، فليس من المفارقة أن يتم تقييم جراسمان من منظور الفلسفة المعاصرة للرياضيات، للتحقق مما إذا كان قد طرح أسئلة تتحدى بعض وجهات النظر البنيوية أو أثار قضايا لا تزال بحاجة إلى توضيح.

أما عن الجبر الخطي، فتقدم نظرية تمديد جراسمان العديد من المفاهيم الأساسية للجبر الخطي: الأساس، البعد، المولد، الاعتماد الخطي والاستقلالية. تم تطوير نظرية المتجه لجراسمان بطريقة مجردة بحتة (في اللغة الحديثة، نظام المتجهات هو وحدة نمطية فوق حقل)، وتمييزه من الناحية المفاهيمية عن الهندسة، والتي تعتبر علما تطبيقيا (إنه تطبيق ET على ثلاثي الأبعاد).

تختلف نظرية جراسمان جزئيا عن الأنظمة المعاصرة القائمة على المتجهات، مثل تحليل المتجهات والجبر الخارجي والجبر الهندسي، من وجهة نظر تقنية ومن وجهة نظر فلسفية. تتعلق الاختلافات بإغلاق العمليات، وشرط التجانس عند الإضافة، وتصور المنتج. إلى جانب ذلك، من السمات المهمة لنظام جراسمان أن مفاهيمه عن القاعدة ونظام المولدات (المستقلة) لا تهدف إلى إدخال نظام إحداثيات، بل تهدف إلى التعبير عن فكرة أن جميع مقادير النظام تتميز بواسطة بعض القوانين المولدة.

كما قدم جراسمان نظرية الأعداد الطبيعية، وهي نتيجة التعاون مع شقيقه روبرت. هنا يحل مصطلح «المقدار» محل «الشكل»؛ تُعرّف الرياضيات بأنها علم المقادير، أي شيء يجب أن يكون مساويا أو غير متكافئ لشيء آخر. قد ينطبق هذا التعريف العام للحجم على أي نوع من الأشكال: حسابي أو موسع أو اندماجي. على أي حال، تتميز المقادير الحسابية بخاصية أخرى، أي حقيقة أنها يتم الحصول عليها من خلال التطبيقات المتتالية لنوع معين من الاتصال (إضافة) إلى مقدار واحد يؤخذ على أنه مُعطى ومشار إليه بواسطة العلامة e. وتجدر الإشارة إلى أن جراسمان لم يذكر الرقم ١ كوحدة حسابية. أي مقدار يؤخذ كعنصر أولي لبناء السلسلة الحسابية، عن طريق الإضافة المتتالية لهذا الحجم الأولي

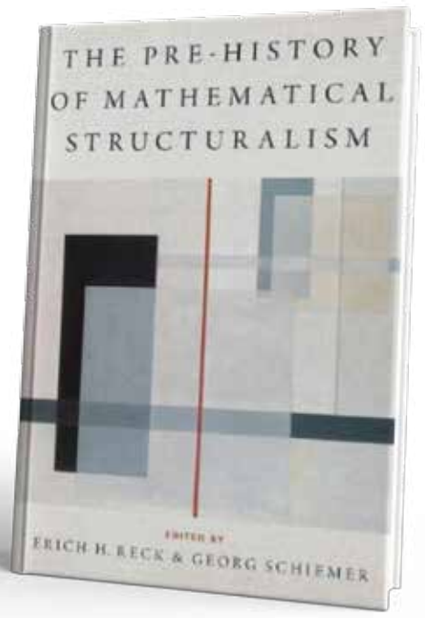


يمكن أن يلعب دور الوحدة. التبادلية والترابط لأي مقادير حسابية يُشار إليها بالرموز أ، ب، ج لا يتم تقديمها كبديهية، ولكنها مشتقة حتيا (الحث) من التبادلية والترابطية أ + ه = ه + أ و (أ + ب) + e = a + (b + e) على التوالي. يوضح هذا الدور الأساسي الذي يلعبه العنصر الأولي وعملية الإضافة في تعريف المقدار الحسابي، وبالتالي لمفهوم السلسلة.

لقد كان جراسمان مؤثرا للغاية، لأنه يقدم أولا: تمييزا واضحا بين الرموز المستخدمة للدلالة على المفاهيم والمفاهيم نفسها، ثانيا: التوازي بين التطور الرمزي والتطور المفاهيمي، ثالثا: فصل واضح بين الافتراضات الأولية والمشتقة، وأخيرا: استخدام الاستقراء كطريقة للاستدلال.

تحت اسم «النظرية العامة للصيغ»، يجمع جراسمان التحقيق في المساواة، والاختلاف، والخصائص المشتركة لبعض الروابط التي تظهر في جميع فروع الرياضيات. على عكس المعالجة المعتادة في الجبر الحديث، فهو لا يبحث في مجموعات من الأشياء الممنوحة لعملية معينة، بل يعتبر الروابط بطريقة رسمية بحتة، مستخلصا من العناصر التي يمكن تطبيقها عليها. صحيح أنه في بعض الأحيان يفكر كما لو كان في فروع رياضية معينة يجب على المرء أن يأخذ في الاعتبار الروابط كما هو الحال دائما بين مقادير معينة، ثم يُظهر أن هذه الوصلات تفي بالمتطلبات التي تسمح للفرد بتسميتها الجمع والضرب على التوالي. ومع ذلك، يمكن القيام بذلك بمجرد إنشاء GTF. وهذا يفسر سبب ادعاء جراسمان أن GTF يجب أن يسبق جميع الفروع الرياضية الأخرى في العرض: هناك أسس معرفية وتعليمية، لأن GTF يوفر أساسا لجميع الفروع الأخرى للرياضيات - من حيث إنها تقدم ما يجب أن يكون موحدا، ولها أعلى درجة من العمومية - وأيضا لأنها تحافظ على التكرار غير المجدي للمفاهيم الأساسية في أطروحة رياضية.

يتم تحديد الأشكال من خلال قانون توليدها، وبالتالي فهي متساوية إذا كان نفس القانون من نفس العنصر الأولي يولدها. غالبا ما تم انتقاد جراسمان بسبب تبنيه لمفهوم ليبنيزي للمساواة باعتباره سلفا للاستبدال حقيقيا بدلا من المفهوم الإقليدي للمساواة كتكافؤ: كما قرأته، تكمن مساواته في منتصف الطريق بين ليبنيز وإقليدس، لأنه يعرّفها على أنها هوية، ويقصرها على بعض سمات المفاهيم بدلا من تعريفها بين الأشياء نفسها.

ثم يأخذ جراسمان في الاعتبار ثلاث اتصالات ويقدم تمييزا من أربعة مستويات بناء على عموميتها المتناقصة.

أولا: يعتقد جراسمان أن الشروط الأكثر تقييدا التي يجب أن تكون مطلوبة من أي اتصال رياضي، تعتمد على عدد الاتصالات التي يتم تقديمها، وعلى العلاقات المتبادلة بينها. لذلك فهو يتطلب من الاتصال الأول (الاتصال من الدرجة الأولى) أن يكون تبادليا وترابطيا، ومن اتصال ثان متعلق بالمرتبة الأولى (اتصال من الدرجة الثانية) أنه يفي بقوانين التوزيع فيما يتعلق بالأول. في هذا مستوى التعميم، الوصلتان (يُشار إليهما على التوالي بواسطة) عمليات ما قبل رياضية بين المفاهيم.

ثانيا: هناك المستوى الرسمي، حيث تكون الشروط أقل تقييدا وتسمى الوصلات من الدرجة الأولى والثانية على التوالي «إضافة رسمية» و «الضرب الرسمي» ويُشار إليها بالرموز الحسابية المعتادة + و ·. الإضافة الرسمية هي ارتباط تركيبي بسيط مع عملية تحليلية ذات قيمة واحدة، بينما الضرب الرسمي هو اتصال من الدرجة الثانية فيما يتعلق بالإضافة المعطاة. هذا هو مستوى GTF، والذي نتج عن تحقيق في خصائص معينة للوصلات المشتركة بين الفروع الرياضية المختلفة.

ثالثا: هناك روابط مجردة بين أشكال التفكير، والتي قد يكون لها خصائص مختلفة اعتمادا على أشكال التفكير التي يتم تطبيقها عليها. على سبيل المثال، في هذا المستوى نجد الجمع والضرب بين الأعداد الطبيعية، أو الجمع والضرب بين مقادير واسعة النطاق. قد تكون هذه الوصلات المجردة مختلفة (على سبيل المثال، يكون الضرب تبادليا في الحالة الأولى وليس تبادليا في الحالة الثانية)، ولكن فقط فيما يتعلق بالخصائص التي لم تكن موجودة بالفعل في المفاهيم «الرسمية» الخاصة بكل منها.

---

· الكتاب: عصور ما قبل التاريخ من البنيوية الرياضية.

· المؤلف: إريك ريك - جورج شيمر.

· عدد الصفحات: 241 صفحة.

· سنة النشر:2020.

· مكان النشر: مطبعة جامعة أكسفورد.

*** كاتب عُماني**

# إصدارات عالمية جديدة

## آخر الإصدارات في اللغة الإيطالية (عز الدين عناية)

### الصليب والكوفية.. تاريخ المسيحيين العرب في فلسطين

تأليف: باولا بيزو.

الناشر: منشورات ساليرنو (روما)، 2020.

عدد الصفحات: 167 صفحة.

الكتاب هو بحث تاريخي من تأليف المستعرِبة الإيطالية باولا بيزو، وهو تتبعُ دقيق لأوضاع مسيحيي فلسطين في الحقبة المعاصرة. تحاول الباحثة رصد ما تبقى من "ملح الأرض"، ذلك التوصيف الذي خلعه المسيح (ع) على أتباعه من أهالي فلسطين. فقد سكن أتباع المسيح فلسطين منذ ظهور معلمهم وإلى الآن، بدون انقطاع. هي أطوار غنية بالأحداث عرفها المسيحيون العرب في فلسطين، منذ الحقبة العثمانية ومرورا بالانتداب البريطاني وإلى غاية الاحتلال الإسرائيلي. تعرض فيها مسيحيو فلسطين لعمليات اجتثاث عاتية، لكنهم لا زالوا يصرون على البقاء، وآخرون منهم ما انفكوا متمسكين بحق العودة. تتابع باولا بيزو تلك الرحلة بالأرقام والأحداث.

### أناس قليلو الإيمان.. الحس الديني في إيطاليا المرتابة

تأليف: فرانكو غاريللي.

الناشر: منشورات إيل مولينو، إيطاليا، 2020م.

عدد الصفحات: 256 صفحة.

المشهد الديني الإيطالي في غليان، لا سيما في أوساط الشباب؛ حيث يتزايد أتباع التقاليد الدينية الوافدة في مجتمع معروف تاريخيا بكنيسته الكاثوليكية النافذة، ناهيك عن انتشار الفتور الديني، أو البحث عن سياقات روحية مغايرة صوفية واستبطانية. تبدو ممارسة الطقوس الدينية الكاثوليكية في أعلى مراحل وهنها، في مقابل ذلك ينبض الحس الديني حيوية، حتى وإن بات كثيرون يلجأون إلى كاثوليكية "ثقافية" بدل تلك "العَقَدية"، في محاولة للحفاظ على ما تبقى من قِيم الأسلاف. إذ يترافق فقدان مركزية الكنيسة الكاثوليكية بشكل عملي مع تدين تعددي وافد مع الشبكة العنكبوتية ومع موجات الهجرة. لهذا تبدو إيطاليا مرتابة الإيمان، حسب توصيف كبير المتخصصين في التدين الإيطالي عالم الاجتماع فرانكو غاريللي.

## آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

### سحر التكرار

تأليف: إيمانويل براك-درينتو.

الناشر: منشورات المدرسة العليا بليون فرنسا، 2021م.

عدد الصفحات: 376 صفحة.

تبدو الحياة وكأنها سلسلة من التكرار: دقات القلب، تعاقب الأيام والفصول، صباح الإثنين، روتين العمل...حتى لتبدو حياتنا مصنوعة من التكرار فقط. لكن ماذا عن التكرار في اللغة؟

يحضر اليوم التعامل مع التكرار اللفظي الذي أهمل لفترة طويلة في العديد من الدراسات الأكاديمية. كل منها يتناول جانبًا معينًا وهي مقاربات تعتمد على الرموز أو المؤلفين أو النصوص أو أنواع الخطاب. وهذا ما يشكل أصالة هذا العمل في تقديم تعريف موحد، لأول مرة، لموضوع التكرار في اللغة. ما الذي يتغير عندما تُقال الأصوات والكلمات والجمل عدة مرات؟ كيف تساهم اللغة في نقل المعلومات؟ لماذا يستخدم التكرار في الممارسات الشعرية والسياسية والدينية والسحرية؟ هذه الأسئلة وغيرها كثير هو ما تحاول المؤلفة الإجابة عنه، وقد عرفت الكاتبة منذ سنوات بالتفكير والبحث في التكرار اللفظي، وما يشكله من خطابات لغوية. كُتب هذا الكتاب من منظور متعدد التخصصات وشمل نطاقا واسعا من العينات. وهو يتوجه إلى جمهور أوسع من المتخصصين اللسانيين، وإلى كل المشتغلين بالعلوم الإنسانية والمهتمين بقوة الكلمة.

### حصة من الأحلام.. التحليل الاجتماعي للأحلام - الجزء الثاني

تأليف: برنار لاهير.

الناشر: دار لاديكوفيرت، فرنسا، 2021م.

عدد الصفحات: 1216 صفحة.

بماذا تفصح لنا أحلامنا ولماذا يربكنا محتواها؟ في التفسير السوسيولوجي للأحلام، طور برنار لاهير إطارًا عامًا لتحليل التعبير الحلمي اعتمادا على مساهمات من التخصصات جميعها، التي تناولت هذا اللغز. يتمظهر فضاء الحلم كمكان للتواصل بين الذات والذات، بكيفية ضمنية ومتخففة من الرقابة، مما يفضي إلى ظهور مشاكل وجودية متشكلة بعمق من خلال التجارب الاجتماعية للحالمين.

يستخدم هذا المجلد الثاني النموذج والمنهجية التي تم تطويرها على مجموعة الأحلام غير المنشورة. من خلال ربط خيوط الخيال الليلي لأربع نساء وأربعة رجال عرفت حياتهم تجارب حديثة أو قديمة، وهنا يقوم برنارد لاهير بتحليل المخاوف التي تتجلى في أحلامهم. بعيدًا عن الغرابة أو التناقض الواضح لسلسلة من الحصص الحلمية المتفرقة، التي تتركب ليلة بعد ليلة، لتجسد لنا سيرة حلمية لكل فرد من الشخصيات الخاضعة للتحليل، وبذلك يكشف الحلم في كليته، وبوضوح الصورة التي تعكس: محنة هيمنة الذكور، وعواقب الاعتداء الجنسي، وهلع الهروب الطبقي، واشتباكات المنافسة المدرسية،و العلاقات الصعبة مع الإرث العائلي، وعواقب العنف الأبوي الجسدي أو الرمزي، وآثار الأخلاق الدينية أو تداعيات الهجر الأبوي.

# إصدارات عالمية جديدة

## آخر الإصدارات الفلسفية في اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

### التاريخ الهائل لاختراع الكتابة

تأليف: سيلفيا فيرارا.

الناشر: دار سوي، فرنسا، 2021م.

عدد الصفحات: 320 صفحة.

"هذا الكتاب ليس عن تاريخ اللغة اليونانية القديمة، ولا عن الأبجدية. إن الكتاب يتحدث عن أعظم اختراع في العالم "سيلفيا فيرارا".
متى بدأت الكتابة ولماذا؟ كيف حدثت هذه الثورة؟ هذه هي الألغاز الغامضة التي ترفع عنها سيلفيا فيرارا الحجاب. ولأجل القيام بذلك، تأخذنا الكاتبة في رحلة عبر الزمان والمكان كما لو أنها تخوض منعرجات العقل البشري. وفي خضم ذلك تقوم بجرد رائع لمختلف الكتابات التي لم يتم توضيحها بعد، متتبعة العديد من مظاهر الكتابة التي ظهرت عبر التاريخ لكن كل شيء كان يوحي بأنها اكتشفت ومُحيت وطواها النسيان، إذا كانت ولادتها في بلاد ما بين النهرين في الألفية الرابعة قبل الميلاد فهذا مجرد حدث واحد ضمن العديد من الأحداث.
إن كتابة سيلفيا فرارا نسيج عنكبوت ينسج تاريخ الكتابة لكنها في الوقت نفسه شرك مذهل يأخذنا من المكسيك إلى حافة بحر إيجه، ومن الصين إلى جزر إيستر، نتابع خطوة خطوة تقدم البحث الذي يحرز تقدمًا كبيرًا بناء على الاكتشافات الأركيولوجية في العقود الأخيرة، لذلك جاء

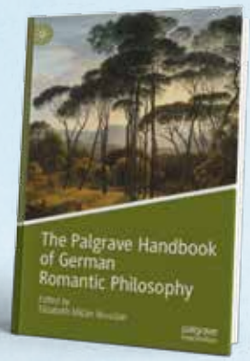


### الكتاب المعين في الفلسفة الرومانسية

المؤلف: كتاب جماعي تحت إشراف إليزابيث ميلان براسلان.

الناشر: بالغريف ماكميلان، 2020م.

يندرج هذا الكتاب ضمن سلسلة تقريب حقب ومذاهب الفلسفة إلى جمهور قراء اليوم تقريبا جامعا. والفلسفة المقصودة فيه هي الفلسفة الرومانسية التي ازدهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ ولا سيما في ألمانيا. وهي فلسفة اتسمت بسمات يتوقف عندها الكتاب: منها؛ تجاوز الحدود التقليدية المقامة بين الفلسفة والشعر والعلم. ومنها؛ المساهمة العميقة في النقد الأدبي وفي منهج التهكم وفي فهم الدين الفهم الوجداني لا الطقوسي. ومنها؛ المساهمة النسوية الكبيرة والوازنة في هذه الحركة. والكتاب يسوق هذه الحركة الفلسفية المكينة والعميقة والمؤثرة في سياقها التاريخي. وقد عقد الكتاب الصلة بين الرومانسية والمثالية الألمانية، من جهة، وبينها وبين فلسفة الجمال والتأويل من جهة أخرى. كما أنه يفحص ميراث هذه الفلسفة الثر الغني؛ لا سيما تأثيرها في النزعة الحداثية وفي النزعة الوجودية وفي النظرية النقدية في القرن العشرين.

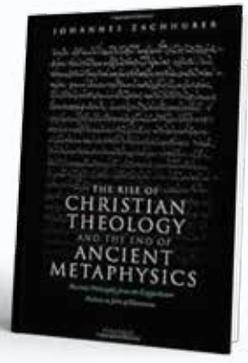


### بزوغ اللاهوت المسيحي ونهاية الميتافيزيقا القديمة (من الآباء الكابادوكيين إلى يوحنا الدمشقي)

المؤلف: يوهان زاخهوبر.

الناشر: مطابع جامعة أوكسفورد، 2020م.

هذا كتاب في اللاهوت الفلسفي. ومن النادر التأليف في هذا المجال. وأندر منه الإقرار بأن الكتاب المسيحيين في القرن الأول الميلادي تفلسفوا؛ لا سيما بعد أن قال هايدجر قوله الشهير: الفلسفة المسيحية تناقض في الحدود، وكأنه سعي إلى تربيع الدائرة، وكان أن اتبعه إميل برهييه فأنكر إمكان قيام فلسفة مسيحية. ويقدم لنا هذا الكتاب صورة مجملة عن فلسفة آباء الكنيسة، وأثرها في القرون الأربعة اللاحقة حتى مجيء الفيلسوف العربي النصراني المنسي من تاريخ فلاسفة الإسلام: يوحنا الدمشقي. ويقع الكتاب في ثلاثة أبواب: باب يحلل المشروع الفلسفي للآباء الكابادوكيين (نسبة إلى كابادوكيا وهي منطقة بأناطوليا (تركيا))؛ وهم في عداد ثلاثة: بازيل القيصري وجريجوري النيقي، وجريجوري أسقف القسطنطينية، أقاموا نظرية في الوجود سادت في المسيحية الشرقية. وباب يقوم بتوصيف الإشكالات الفلسفية الناجمة عن تطبيق نظرية الوجود هذه على القضايا العقدية المسيحية.

### الجمال والخير (استعادة التقليد الكلاسيكي من أفلاطون إلى دانس سكوت)

المؤلف: كتاب جماعي تحت إشراف أليس راموس.

الناشر: مطابع الجامعة الكاثوليكية لأمريكا، 2020م.

اقترن الجمال في تصور المحدثين بالجسد وبالطبيعة وبالفن اقترانا أمسى من البداهة بمكان، وذلك حد عبادة الجمال الحسي العبادة؛ هذا بينما كان قد ارتبط الجميل لدى القدامى والوسطويين، وبالضد من هذا، بالروح وبالسلوك: جمال الروح، جمال النفس، جمال الخلق... ومن ثمة اقترن هو بالخير؛ بحيث لا انفكاك بينهما بالمرة. والحال أنه لئن هو تقدمَ أن تناولت العديد من الكتب هذا الاقتران، بحيث أفردت القدامى بدراسات والوسطويين بنظير لها، فإن جديد كتابنا هذا أنه جمع بينهما معا في كتاب جامع. وقد أبرز التعالق بين "الجميل" و"الخير" منذ أفلاطون وأرسطو والفضيلة الخلقية الجميلة إلى غاية الوسطويين وحديثهم عن الخيرية الباطنة باعتبارها جمالا روحيا صرفا.

# تصفّح النسخة الرقمية .. مجلة التفاهم

## عنوان العدد: الوضع العالمي والرؤية الأخلاقية

عبدالرحمن السالمي

### المحاور


- **الرؤية القرآنية لصلاح الإنسان والعالم** .. أحمد الزعبي
- **مفهوم « العصر المحوري» عند كارل ياسبرز** ..محمد الشيخ
- **الرؤى الإغريقية للصلاح الإنساني** .. مصطفى النشار
- **أوربا العصور الوسطى: القانون الطبيعي والكنيسة والإقطاع** .. حاتم الطحاوي
- **الحربُ والدولةُ القومية وتكوّن** .. فتحي المسكيني
- **ميثاق الأُمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان ونظام العالم المعاصر**.. عبدالناصر السيد محمد الجهاني
- **النظام الدولي الجديد من منظور الفلسفة الاجتماعية** .. الزواوي بغوره
- **التّضامن الإنساني في الأزمات والبدائل الضرورية للبقاء**.. محمد بالرّاشد
- **هويّات مشقوقة : عن مسارات القيم في العالم المعاصر**.. عادل حدجامي
- **إصلاح النظام العالمي : استراتيجيات القوة واستراتيجية المؤتلف الإنساني**.. رضوان السيد
- **المؤتلف الإنساني وتجديد نظام العالم** .. عز الدين عناية


### دراسات


- **التعليم والأخلاق في الاسلام** - سيباستيان غونتر
- **المقاربات القانونية الغربية المعاصرة: بين الشرع الإسلامي والقانون الدولي** - محمد الشيخ
- **مركزية الإخلاق في المنظومة الإسلاميّةانطلاقًامن السنة النبوية** - عبدالله الجباري


### وجهات نظر


- **علم الكلام الجديد كآلية من آليات إصلاح وتجديد الخطا الّديني** - سعيد عبيدي
- **الأقليات المسلمة في الغرب وشروط الاندماج** - محمد الدرداري


### آفـاق


- **العلوم الاجتماعيّة والقرآن** .. ديل إيكلمان
- **مداخلات أوليّة حول الكتابات المؤرخة للتفسير باللغة العربيّة: مقاربة مبنية على علم تاريخ الكتاب** .. وليد صالح


### الإسلام والعالم


- **عالم العرب والعرب في العالم** .. إعداد: رضوان السيد



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها



مجلة التفاهم هاتف : 24644031 - 24644032 968+ , فاكس : 24605799 968+

البريد الإلكتروني : www.altafahom.net – al.tafahoom@gmail.com – tasamoh@gmail.com